توفه يانسون

مذَنَّبٌ في وادي المومين

دار المنى

مكتبة
Telegram Network

مُذَنَّبٌ في وادي المومين

توفه يانسون

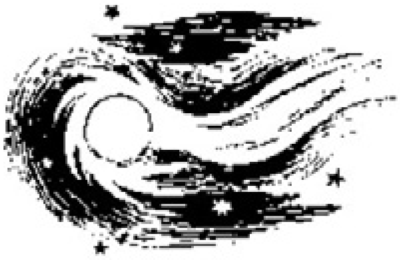

«مكتبة ♔ النخبة»

دار المنى

Translation is supported by FILI

FILI FINNISH LITERATURE EXCHANGE

ISBN: 978 91 88863 75 1
Arabic edition © Bokförlaget Dar Al Muna AB, 2019
© Tove Jansson, (1946), Moomin Characters™
Arabic text © Bokförlaget Dar Al Muna
First published in Swedish under the title:
Kometjakten
All rights for Arabic language are reserved
Typesetting: Joachim Trapp

Bokförlaget Dar Al-Muna AB
Box 127, 18205 Djursholm, Sweden
www.daralmuna.com

1

وهو يَحكِي عن مومين ترول وسنيف اللذَيْن يَتَتبَّعان دربًا غامضًا إلى البحر، ثم يَحكِي عن صيد اللؤلؤ، واكتشاف كهفٍ، وكيف تجنَّب فأر المسك الإصابةَ بالزُّكام

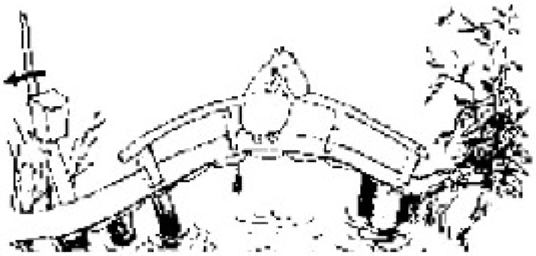

في صباح أحد الأيام - هو الصَّباح الذي أنهى فيه بابا مومين تشيِيدَ جسرٍ فوق النَّهر – توصَّل الحيوان الصَّغير سنيف إلى اكتشافٍ. (ما زالت هناك أشياءُ كثيرةٌ أخرى بانتظارهم ليكتشفوهَا في الوادي) . كان سنيف يتجوَّل في الغابة عندما لاحظَ فجأةً دربًا ما سبق له أنْ رآه يتعرَّجُ بطريقةٍ غامضةٍ بين الظِّلال الخضراء. فُتِن سنيف بما رأى، ووقف يُحملِقُ في الدَّرب عدَّةَ دقائقَ.

«ما يتعلَّق بالدُّروبِ والأنهارِ غريبٌ،» فكَّر سنيف. «ترَاهَا تمتدُّ أمامك، وفجأةً تشعر بالاضطراب وترغبُ في أن تكونَ في مكانٍ آخرَ - ربَّما حيثما يقودك الدَّرب أو النَّهر. يجب أن أخبِرَ مومين ترول عن هذا، ويمكننا أن نستكشفَهُ

معًا؛ لأنَّه مِنَ الخطرِ نوعًا ما لي أن أذهبَ وحدي.» ثم حفر علامة سرِّيَّة على جذع شجرةٍ بمطواته؛ حتَّى يستطيعَ الاهتداءَ إلى المكان ثانيةً، وفكَّر باعتزازٍ: «سيدهش مومين ترول.» وبعد ذلك حثَّ الخُطَى إلى البيت بأسرع ما يمكنه كي لا يتأخَّرَ على موعد الغداء.

كان مومين ترول يُعلِّقُ أرجوحةً عندما وصل سنيف إلى البيت. أبدى اهتمامًا عظيمًا بالدَّربِ الغامضِ، ومباشرةً بعد الغداء انطلقا ليتفقَّدَاه.

في منتصف طريقهما على التَّلِّ نمَتْ مجموعةُ أشجارٍ زرقَاءَ محمَّلةً بإجاصٍ أصفرَ كبيرٍ، وطبعًا لم يستطيعا تجاوز تلك الأشجارِ من غير أنْ يعلنَ سنيف أنَّه جائع.

«يُستحسن أن نلتقطَ ما أسقطته الرِّيح فقط،» قال مومين ترول؛ لأنَّ ماما تعدُّ المربَّى منْهَا.» لكنَّهما اضطرا إلى هزِّ الشَّجرة قليلًا ليحصلَا على بعضِ ما أسقطته الرِّيحُ.

سُرَّ سنيف كثيرًا بغنيمتهما. «احملْ أنتَ المؤونة،» قال، «لأنْ ليس لديك شيءٌ آخرُ تفعله، أليس كذلك؟ أنا منهمك جدًّا في التَّفكير بأمورٍ أخرى مثل كوني مستكشفَ طريقٍ.»

عندما وصلا إلى قمّةِ التَّلِّ، التفتا ونظرا إلى الوادي. كان بيت المومين مجرَّدَ نقطةٍ زرقاءَ، والنَّهرُ شريطًا ضيِّقًا أخضرَ؛ أمَّا الأرجوحةُ فلم يلمحاها مطلقًا. «لم يسبق لنا أن ابتعدنا هذه المسافة الطَّويلة عن البيت،» قال مومين ترول، وسرى فيهما شيءٌ من رعشة الحماسة مِنَ الفكرةِ.

بدأ سنيف يتشمَّمُ المحيط من حوله. نظر إلى الشَّمس، تحسَّس اتجاه الرِّيح، تنشَّقَ الهواء، وفي الحقيقة تصرَّف بشتَّى الطُّرق مثل مستكشفِ طريقٍ عظيمٍ.

«لا بدَّ من أنَّه في مكانٍ ما هنا،» قال بعزمٍ. «حدَّدْتُ علامةً سريَّةً على شجرة خوخٍ من حيث يبدأ الدّربُ تمامًا.»

«أيُحتملُ أنَّه من هنا؟» سأله مومين ترول وهو يشير إلى زخرفةٍ متعرِّجةٍ على جذع شجرةٍ شمالًا.

«لا! ها هي العلامةُ هنا!» صاح سنيف الَّذي شاهد زخرفةً متعرِّجةً أخرى على جذع شجرةٍ يمينًا.

في اللحظة نفسها أبصرا علامةً ثالثةً متعرِّجةً على جذع شجرة أمامهما تمامًا، إلّا أنَّها كانت عاليةً جدًّا، على الأقلِّ ثلاثة أقدام فوقَ الأرض.

«تلك هي، أنا متأكِّدٌ» قال سنيف وهو يمطُّ جسمه. «لا بدَّ من أَنِّي أطولُ ممَّا أعتقدُ!»

«هه، يا عَجَبِي!» هتف مومين ترول وهو يتطلَّع حواليه. «هناك زخارفُ متعرِّجةٌ في كلِّ مكان! وبعضها على علوِّ مئة قدمٍ تقريبًا. أظنُّك عثرْتَ على دربٍ مسكونٍ بالأشباح يا سنيف، والآن تحاولُ الأشباحُ أنْ تحول بيننا وبينه. ما قولكَ في هذا؟»

لم يقلْ سنيف شيئًا، لكنَّ أنفَه أصبح شاحبًا جدًّا. وفي تلك اللحظة كسرَتِ السُّكونَ كركرةُ ضحكَةٍ مباغتةٍ، وعلى الأرض سقطت خوخةٌ كبيرةٌ زرقاءُ، وكادت أنْ تصيبَ مومين ترول في عينه. أطلق سنيف صرخةَ فزعٍ وجرى ليختَبِئَ، أمَّا مومين ترول فاعتراهُ الغضب فقط، وقرَّر أنْ يلقيَ نظرةً على العدوِّ، وفجأةً رأى من يكونُ. ولأوَّلِ مرَّةٍ في حياته وجد نفسه يقف وجهًا لوجه أمام نَسْنَاسةٍ حَريريَّةٍ!

كانت رابضةً على فرعِ شجرةٍ: كُرةٌ صغيرةٌ قاتمةٌ ومخمليَّةُ الوبرِ. وجهُهَا مستديرٌ وأفتحُ كثيرًا من بقية جسمها (مثل لونِ أنفِ سنيف تقريبًا عندما ينظّفه باستخفافٍ)، وضحكتها أكبرُ عشر مرات من حجمها.

«أوقفي هذه القهقهة المزعجة!» صاح مومين ترول عندما لاحظ أنَّها أصغرُ منه حجمًا. «هذا وادينا. اذهبي واضحكي في مكانٍ آخرَ.»

«تعيسةٌ بائِسةٌ!» تمتمَ سنيف متظاهرًا بأنَّه لم يخَفْ. لكنَّ النَّسناسةَ الحريريةَ

اكتفَتْ بالتَّعلُّقِ بذيلها وضحِكَتْ بصوتٍ أعْلَى مِن أيِّ وقتٍ. ثمَّ ألقَتْ عليهما المزيدَ مِنَ الخوخ، واختفَتْ في الغابة مُطلِقةً ضحكةً مجلجلةً شرِّيرةً.

«إنَّها تهربُ!» صاحَ سنيف. «تعالَ، علينا أنْ نتبَعَها.»

وهكذا انطلقا، يهرولان بين الشُّجيراتِ ونباتِ العُلَّيقِ تحت زخّاتٍ هائلةٍ تسقط عليهما منَ التُّوتِ النَّاضجِ وأكواز التَّنوب، في حين فرَّتِ الحيواناتُ الصَّغيرةُ من تحت أقدامهما إلى جحورها بأسرعِ ما يمكنها.

تأرجحت النَّسناسة الحريريَّةُ ما بينَ شجرةٍ وأخرى أمامهما؛ فهي لم تستمتعْ مطلقًا إلى هذه الدَّرجة منذ أسابيعَ.

«ألَا تظنُّ أنَّه من السُّخفِ أنْ نجريَ وراء – أفٍّ – نسناسةٍ حريريَّةٍ مغفَّلةٍ، كما نفعلُ!» قال سنيف أخيرًا وهو يلهث. «لا يبدو لي أنَّها – أفٍّ – مهمَّةٌ.»

وافقه مومين ترول على ما قاله، وبالتَّالي جلسَا تحت شجرة، وتظاهرا بأنَّهما يفكِّران في أمرٍ مهمٍّ. استرخت النَّسناسة على غصن شجرةٍ فوقهما، وحاولت هي أيضًا أن تبدوَ ذات شأنٍ؛ كانت تقريبًا مستمتعةً بما يجري كالسَّابق.

«لا تولِها أيَّ اهتمام،» همس مومين ترول. وبصوتٍ عالٍ قال: «أليست هذه بقعةً جيِّدةً يا سنيف؟»

«بَلَى، ودربًا مثيرًا للاهتمام أيضًا،» أجابَ سنيف.

«درب،» كرَّر مومين ترول وهو يمعن في التَّفكير. وفجأةً لاحظَ أين هما. «ياه، لا بدَّ من أنَّ هذا هو الدَّربُ الغامضُ،» شَهقَ.

بالتَّأكيد بدا الدَّربُ مغرقًا في الغموضِ. إذ بعد أغصان أشجار الخوخ، التقَتْ أشجار البلوط والحورِ الفضيِّ معًا، وشكَّلت مجتمعةً نفقًا مظلمًا يقود إلى المجهول.

«علينا الآن أن نتعاملَ مع هذا بجديَّةٍ،» قال سنيف وقد تذكَّر أنَّه مستكشفُ طريقٍ. «سأبحث عن مساراتٍ فرعيَّةٍ، وأنت عليك أنْ تقرعَ ثلاث مرَّاتٍ إذا رأيت أيَّ شيءٍ خطرٍ.»

«على أيِّ شيءٍ أقرعُ؟» استفسر مومين ترول.

«عَلى أيِّ شيءٍ تراه مناسبًا،» ردَّ سنيف. «فقط لا تتكلَّمْ. وماذا تُراك فعلت بمؤونتنا؟ أفترضُ أنَّكَ أضعتها. آه يا ربِّي! أيجبُ أنْ أتولَّى القيام بكلِّ شيءٍ بنفسي؟»

قطَّب مومين ترول جبينه باكتئاب، ولكن لم يُجبْ.

وهكذا أوغلا في تجوُّلِهما خلال النَّفق الأخضر، سنيف يبحثُ عن مساراتٍ فرعيَّةٍ، ومومين ترول يتفقَّد وجود دخلاء خطرين، والنَّسناسة الحريريَّة تقفز فوقهما من فرعِ شجرةٍ إلى آخر.

التفَّ الدَّرب بين الأشجار وخارجها، وازداد ضيقًا أكثر فأكثرَ، إلى أن تلاشى في النِّهاية جملةً وتفصيلًا. لاح الارتباك على مومين ترول. «حسنًا يبدو أنَّ هذا ما هو عليه،» قال. «كان يجب أنْ يقودَ إلى شيءٍ مميَّزٍ جدًّا.»

وقفا بلا حراك وتبادلا النَّظراتِ بخيبة أملٍ. لكن وهما واقفان هناك هبَّت على وجهيهما نسمةٌ من ريحٍ مالحةٍ، وسمعا زفيرًا خافتًا آتٍ من بعيد.

«إنَّهُ البحر بلا شكٍّ!» صاح مومين ترول بفرحٍ، وبدأ يجري تُجاه الرِّيح، قلبه يخفق بالإثارة، لأنَّه إذا كان هناك ما يعشقه فعلًا جماعة المومين فهو الاستحمام.

لم يقف مومين ترول إلَّا بعد أنْ وصلَ إلى البحر، وهناك جلسَ، وبوقارٍ استكانَ يتفرَّج على الأمواج ترتدُّ، موجةً تلوَ موجةٍ، وذروةُ كلِّ واحدةٍ منها متوَّجةٌ بالرَّغوة البيضاءِ.

بعد فترةٍ ظهر سنيف من طرف الغابة وانضمَّ إليه. «الجوُّ باردٌ هنا،» قال. «على فكرة هل تتذكَّر عندما أبحرنا مع جماعة الهاتيفاتنر في تلك العاصفة الرَّهيبة، وعانيتُ من دوار البحر؟»

«تلك حكايةٌ أخرى مختلفة،» أجاب مومين ترول. «الآن أنوي أنْ أستحمَّ.»

وجرى مباشرةً نحو الأمواج من غير أن يتوقَّفَ ليخلعَ ثيابه (لأنَّ جماعة المومين طبعًا لا يرتدون الثِّياب، إلَّا في الفِراش أحيانًا).

في هذه الآونة نزلت النَّسناسة الحريريَّة من شجرتها، وجلست على الشَّاطئ الرَّملي تراقبهما. «ماذا تفعلان؟» صاحت. «ألا تشعرانِ أنَّ الجوَّ باردٌ ورطبٌ؟»

«نجحنا في إثارة إعجابها أخيرًا!» علَّق نسيف.

«نعم. اسمع سنيف أيمكنكَ أنْ تغوصَ بعينين مفتوحتين؟» سأله مومين ترول.

«لا!» أجاب سنيف، «ولا أنوي المحاولة - أنتَ لنْ تعرفَ أبدًا ما قد ترى هناك في القاع. وإذا غُصتَ لا تلمني إن أصابك ما لا تُحمد عقباه!»

«أُفٍّ منكَ!» تأفَّف مومين ترول وهو يقتحم موجةً كبيرةً، ويغوص نزولًا مخترقًا فقاعات الضَّوء الخضراء. غاصَ عميقًا، ووصلَ إلى غابات أعشاب البحر المجعَّدةِ المتمايلة بتؤدةٍ مع الماء - أعشابُ بحرٍ مُزيَّنةٌ بأصدافٍ بيضاءَ

ووردِيَّةٍ جميلةٍ – وعندما أوغل في الغوص أكثر ازدادت قتامة ذلك الشَّفق الأخضرِ، إلى أن ما عاد يشاهد إلَّا حفرةً مظلمةً بدا أنْ لا قاعَ لها.

استدار مومين ترول واندفعَ إلى السَّطح حيثُ حملته موجةٌ عظيمةٌ إلى الشَّاطئ. هناك ربض سنيف والنَّسناسة الحريريَّة يزعقان طلبًا للنَّجدة بأعلى صوتيهما.

«اعتقدنا أنَّك غرقت،» قال سنيف، «أو أنَّ سمكةَ قرشٍ التهمتك!»

«أُفٍّ!» تأفَّف مومين ترول ثانيةً. «أنا معتادٌ على البحر. وبينما كنتُ في الأسفل خطرت لي فكرةٌ – وهي فكرةٌ جيِّدةٌ أيضًا. لكنَّني أتساءل ما إذا يمكن أن يسمَعَها الغرباء.» ونظر بإمعان نحو النَّسناسة الحريريَّة.

«ارحلي من هنا!» وجَّه لها سنيف الكلام. «هذا شأنٌ خاصٌّ.»

«أوه، رجاءً أخبرني!» استعطفت النَّسناسة الحريريَّة، لأنَّها كانت أكثر المخلوقات في العالم فضولًا. «أقسم ألَّا أتنفَّسَ بكلمة.»

«أنجعلها تقسِم؟» استفسرَ مومين ترول.

«حسنًا، ما المانع؟» أجاب سنيف. «لكن ينبغي أنْ يكونَ قسمًا صحيحًا.»

«كرِّري من بعدي،» قال لها مومين ترول، «عسى أن تبتلعَنِي الأرض، عسى أن تقعقعَ العفاريت المعمِّرةُ في عظامي الجافَّة، وعسى أن أُحرَمَ من تناول المثلَّجات إلى الأبد إذا لم أبذل حياتي حفاظًا على هذا السِّر. هيَّا الآن!»

كرَّرت النَّسناسة القسَم، إنَّما فعلَت ذلك بشيءٍ من اللامبالاة؛ لأنَّها لا تستطيع مطلقًا الاحتفاظَ بأيِّ شيء في رأسها مدَّةً طويلةً.

«جيِّدٌ!» قال مومين ترول. «سأفصِحُ الآن. أنا أنوي الغوص لصيدِ اللؤلؤ، ثمَّ سأدفنُ اللآلئ التي أحصل عليها في صندوقٍ هنا في رمَالِ الشَّاطئِ.»

«لكن أين نجدُ صندوقًا؟» سأله سنيف.

«سأوكِّلكَ أنت والنَّسناسة الحريرية بهذه المهمَّة،» ردَّ مومين ترول.

«لماذا أتولَّى أنا دائمًا القيام بالأشياء الصَّعبةِ؟» تذمَّر سنيف بصوتٍ كئيبٍ. «وأنتَ تحصلُ على المرح كلِّه؟»

«لقد كنتَ مُستكشفَ طريقٍ،» قال مومين ترول. «ثمّ إنَّك لا تستطيعُ الغوصَ. لذا لا تتصرَّف بسخفٍ.»

انطلق سنيف والنَّسناسة الحريريَّة يجوبان الشَّاطئ، وسنيف يغمغم «بائسٌ تعيسٌ! ألَا يمكنه أنْ يبحثَ بنفسه عن صندوقه ذاك.»

تفحَّصا المنطقة من حولهما بعض الوقت، وبعد فترةٍ نسيت النَّسناسة الحريريَّة ما يُفترض بهما أنْ يفعلَاه، والتفتت تفتِّشُ عَنِ السَّراطين. كان هناك

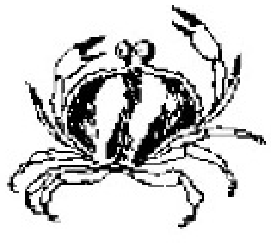

واحدٌ منها لم يكفَّ عنِ التَّنقُّل هنا وهناك بمشيته الجَانبيَّةِ، ثمَّ يتوارى تحت حجر، فلا يظهر منه سوى عينيه النَّاتئتين المرتكزتين علَى عودين وهما تلوِّحان لسنيف والنّسناسة بنظراتٍ مهدِّدةٍ. تتبعا أثره مدَّةً طويلة إلى أن قفزَ في النِّهاية ودخل شقَّ صخرةٍ حيث بنى سدًّا رمليًا من حوله كي يمنعهما من الوصول إليه.

«لا بأس، لقد اختفى على أيِّ حال،» قالت النَّسناسة الحريريَّة. «تعال! هيَّا بنا نتسلَّق الصُّخورَ!»

كان السَّاحل وعرًا نوعًا ما، صخورُه حادَّةٌ ومُسنَّنةٌ. بعد أن تسلَّقا فترةً قصيرةً، وجدَا نفسيهما على حافَّةٍ ضيِّقةٍ تواجه البحر، وثمَّة جدار صخريٌّ من جهةٍ، ومهبط حادٌّ نحو البحر من الجهة الأخرى.

«أأنتَ أشدُّ خوفًا من التَّقدِّم أبعد؟» سألته النَّسناسة الحريريَّة التي وجدَتْ أنَّ ذلك سهلٌ جدًّا عليها بما أنَّها قادرة على الاستعانة بأوصالها الأربعة.

«أنا لا أخاف أبدًا،» أجاب سنيف. «لكن أظنُّ أنَّ المنظر من هنا أفضل.»

ابتسمَتِ النَّسناسة الحريريَّةُ ابتسامةَ استهزاءٍ عريضَة، وقفزت بذيلها في الهواء. بعد هُنيهةٍ سمعها سنيف تضحك. «مرحبًا!» صاحت، «عثرْتُ على بيتٍ لي - وليس بيتًا سيِّئًا أيضًا!»

تردَّدَ سنيف لحظةً، بيد أنَّه لم يستطِعْ مقاومة فكرةِ البيت. (لطالما أحبَّ البيوتَ في أماكنَ غير عاديَّة.) وهكذا أطبقَ عينيه بشدَّةٍ، وراح يقطع الحافَّةَ. بلَّلهُ رذاذ البحر عدَّة مرَّاتٍ، ولهجَ لسانُه بالصَّلاة لحامي الوحوش الصَّغيرة

كلِّها. لم يسبق له في حياته قطُّ أن خاف إلى هذه الدَّرجة، أو شعر بمثل تلك الشَّجاعة وهو يزحف على طول الحافَّة. فجأةً تعثَّر بذيل النَّسناسة وفتح عينيه. رآها منبطحةً على بطنها، ورأسُها محشور بفتحةٍ في الصَّخر، تثرثرُ وتضحك بلا انقطاع.

«والآن؟» بدأ سنيف. «أين هذا البيت الذي ذكرتِه؟»

«هنا!» صُرَّتِ النَّسناسة الحريريَّة، واختفت في جوف الصَّخرة. عندئذٍ لاحظ سنيف أنَّ هناك كهفًا، كهفًا حقيقيًّا، كالكهف الذي حلم دائمًا بالعثور عليه. كانت فتحتُه صغيرةً قليلًا، أمَّا جوفُهُ فواسعٌ. حيطانُه الصَّخريةُ مرتفعةٌ بيُسرٍ نحو فتحةٍ في السَّقفِ تسمحُ لضوءِ الشَّمس بالدُّخول، والأرضُ مغطَّاةٌ بالرَّمل الأبيضِ النَّاعمِ.

أسرعت النَّسناسة إلى شقٍّ في إحدى الزَّوايا، وبدأت تشمُّ الرَّمل وتبعثرُه. «ربَّما لدينا هنا سراطينُ كثيرةٌ،» صاحت. «تعالَ وساعدني في البحث!»

«لا تزعجيني،» نهرَها سنيف بصوتٍ حاسم. «هذه أعظمُ لحظةٍ في حياتي حتَّى الآن، وهذا كهفي الأوَّل.» مهَّد الرَّمل بذيله وتنهَّد. «سأعيش هنا إلى الأبد،» فكَّر. «سأعلِّق رفوفًا صغيرةً، وأحفر فتحةً للنَّوم في الرَّمل، وأُحضرُ فانوسًا أُضيئُه في المساء. وربَّما أصنع سلَّمًا مِنْ حبالٍ كي أتمكَّنَ من الصُّعود إلى السَّطح لأتأمَّلَ البحر. سيدهشُ مومين ترول.»

فجأةً تذكَّر مومين ترول وصيد اللؤلؤ والصُّندوق. «اسمعي يا نسناسة حريريَّة،» قال، «ماذا عنِ الصُّندوق؟ أتظنِّينَ أنَّ مومين ترول يحتاج إليه حقًّا؟»

«أيّ صندوقٍ؟» تساءلت النَّسناسة الحريريَّةُ التي كانت ذاكرتها قصيرة المَدَى جدًّا. «تعالَ! أرى أنَّ المكان هنا بدأ يصبح مملًّا.» وبطُرفةِ عينٍ أصبحت خارج الكهف، ثمَّ على طول الحافَّة، ونزولًا إلى الرّمل مجدَّدًا.

تبعها سنيف ببطءٍ. عدَّةَ مرَّاتٍ التفَتَ ونظر إلى الكهف باعتزاز. كان ممتلئًا بالفكرة بحيث نَسِيَ أنْ يخافَ وهو يجتاز الحافَّةَ الخطِرَةَ. وبقي مستغرقًا في التَّفكير بينما حثَّ الخُطَى على الشَّاطئ إلى حيث تركا مومين ترول الذي يصيدُ اللؤلؤ. كان هناك صفٌّ من اللؤلؤ البرَّاق، وكان مومين ترول يندفع صعودًا

وهبوطًا بين الأمواج كأنَّهُ قطعةُ فلِّين، بينما جلست النَّسناسةُ الحريريَّةُ على الرَّمل وانهمكَت في حكِّ جسمها.

«أنا أمينةُ الصُّندوق،» هتفَتْ بنبرةٍ تفصح عن أهميَّة شأنِهَا. «عددتُ إلى الآن هذه اللآلئ خمس مرَّات، وفي كل مرَّةٍ تأتي الحسبة مختلفة. أليس هذا استثنائيًّا؟»

خاض مومين ترول الماء ميمِّمًا الشّاطئ، والمحارُ مِلء ذراعيه، بل حتَّى كان هناك العديدُ منه عالقٌ على ذيله. «ياه!» هتفَ وهو ينفضُ أعشاب البحر عن عينيه. «هذا يكفي لليوم. أين ذاك الصُّندوق؟»

«ليس في هذا الشَّاطئ الكثيرُ من الصَّناديق الجيِّدة،» قال سنيف. «لكنَّني توصَّلتُ إلى اكتشافٍ عظيمٍ.»

«وما ذاك؟» سأله مومين ترول؛ لأنَّ الاكتشاف (إلى جانب الدُّروبِ الغامضة، والاستحمام والأسرار) كان أكثر ما يستهويه.

تريَّث سنيف، ثمَّ قال بصوتٍ استعراضيٍّ: «كهف!»

«كهفٌ حقيقيٌّ؟» استفهم مومين ترول، «بفتحة لتزحف إليه منها، وحيطان

صخريَّة وأرضٍ رمليَّةٍ؟»

«نعم، بكلِّ شيءٍ!» أجاب سنيف بفخر. «كهفٌ حقيقيٌّ اهتديتُ إليه بنفسي.» ثمَّ غمز بعينه صوب النَّسناسة الحريريَّةِ، إلَّا أنَّها كانت منهمكةً تعدُّ اللآلئ للمرَّة الثَّامنةِ.

«هذا بديعٌ!» هتف مومين ترول. «أخبارٌ رائعةٌ. الكهفُ أفضلُ بكثيرٍ من صندوق. سنأخذُ اللؤلؤ إلى هناك حالًا.»

«هذا بالضَّبط ما فكَّرتُ فيه،» قال سنيف.

وهكذا حملا اللآلئ إلى الكهف، ورتَّباها بأناقة على الأرض، ثمَّ استلقيا وتأمَّلا السَّماء من فتحةِ السَّقفِ.

«أتعرفُ شيئًا؟» بدأ مومين ترول. «إذا طرتَ مئات ومئات الأميال في السَّماء تصلُ إلى مكانٍ لا تعود فيه السَّماءُ زرقاءَ. تصبح سوداءَ تمامًا. في النَّهار أيضًا.»

«ولماذا؟» سأله سنيف.

«هكذا فقط،» أجاب مومين ترول. «وفي الأعلى في الظَّلام هناك وحوشُ سماء ضخمةٍ، مثلَ العقاربِ والدِّببةِ والحملان.»

«أهيَ خطرةٌ؟» استفهمَ سنيف.

«ليس لنا،» ردَّ مومين ترول. «هي فقط تُطبِقُ على بعض الكواكب ما بين حينٍ وآخرَ.»

تفكَّر سنيف بعمقٍ في هذا، وبعد فترةٍ سكتَا واكتفيا بالاستلقاءِ وتأمُّل ضوء الشَّمس الذي انسابَ عبرَ فتحةِ السَّقف وزحف على الرَّمل، مرسلًا أشعَّتَهُ على لآلئِ مومين ترول.

❀ ❀ ❀

عادَ مومين ترول وسنيف في وقتٍ متأخِّرٍ من المساء إلى البيت الأزرق في الوادي. كان النَّهر يجري بتموُّجاتٍ لا تكاد تُرى تحت الجسر الَّذي ظهر واضحًا بسبب طلائه الجديد، وماما مومين في الحديقة ترتِّب الأصداف حول أحواض الزُّهور.

«لقد تناولنا العشاء،» قالت. «يستحسن أن تريا عمّا يمكن أن تجداه في حجرة المؤن يا أحبابي.»

أخذ مومين ترول يقفز بحماسةٍ. «ابتعدنا عن هنا مسافةَ مئةِ ميل على الأقلِّ!» قال. «تتبَّعنا دربًا غامضًا، وعثرتُ على شيء ثمين جدًّا يبدأ بحرف (ل) وينتهي بحرف (ئ)، لكنَّني لا أستطيع أنْ أقولَ ما هو لأنَّني مرتبطٌ بقسمٍ.»

«وأنا اكتشفتُ شيئًا يبدأ بحرف (ك) وينتهي بحرف (ف)!» صرَّ سنيف وفي مكان ما في الوسط هناك حرف (ه). إلَّا أنني لن أفصح أكثر.»

«حسنًا!» قالت ماما مومين. «تخيَّلُوا هذا! اكتشافان عظيمان في يومٍ واحدٍ! والآن أسرعا وتنَاولَا العشاء يا أحبابي. ثمة حساء ساخنٌ على الموقد. ولا تُقعقعَا كثيرًا لأنَّ بابا مومين يكتب.»

ثمَّ عادت، والتفتَتْ إلى ترتيب الأصداف بالتَّعاقب؛ واحدةٌ زرقاءُ، اثنتان بلونٍ أبيضَ وأخرى حمراءُ، وبدا المشهدُ لطيفًا حقًّا. صفَّرت بصوتٍ خافتٍ لنفسِهَا

وفكَّرت، هناك رائحةُ مطرٍ في الهواء. وهذا صحيح، فالرِّيح كانت تهمُّ بالهبوب، وما بين لحظةٍ وأخرى، هزَّت نفخةُ هواءٍ قويَّة الأشجار وقلبت أوراقها، ولاحظت ماما مومين جيشًا مِنَ السُّحب يحتشدُ في الأفق، ويبدأ الزَّحف في السَّماء. «آمل ألَّا يأتينا فيضانٌ آخرُ،» قالت لنفسها وهي تلتقط بعض الأصداف المتبقيّة، وتقصدُ البيت بينما أخذَتْ قطراتُ المطر الأولى تنهمر.

في المطبخ، وجدَتْ كلًّا مِنْ مومين ترول وسنيف متقوقعين معًا في زاوية،

مُتعبين من مغامرتهما. دثَّرتهما ببطانيَّةٍ، وجلست إزاء النَّافذة لترتُقَ جواربَ بابا مومين.

راح المطر يقرع السَّقف ويهسهس في الخارج. بينما كان بعيدًا يتقطَّر في كهف سنيف. وعميقًا في الغابة زحفت النَّسناسة الحريريَّة وقصدت شجرتها المجوَّفة. طوت ذيلها حول رقبتها لتبقى دافئة.

✽ ✽ ✽

في وقت متأخِّرٍ من تلك الليلة عندما أوى الجميع إلى الفراش، تناهى إلى بابا مومين صدى شكوى احتجاجٍ. قعد وأصغى بانتباه. سمع تدفُّقَ المطر المنساب في أنابيب التَّصريف، وفي مكانٍ ما خبطت الرِّيح دقَّةَ بابٍ. ثمَّ جاء الصَّوت البائسُ ثانيةً، وضع بابا مومين رداء النَّوم عليه، ومضى ليلقي نظرةً في أرجاء البيت.

تفقَّد الغرفةَ ذات الزُّرقة السَّماوية، والغرفةَ التي بصفرة الشَّمس، والغرفةَ المنقَّطة، وكان كلُّ شيءٍ ساكنًا. أخيرًا، سحب مزلاج الباب الثَّقيل وأحدَّ النّظرَ في الخارجِ تحت المطر. أضاء مصباحَهُ شريطًا من الممرِّ، جاعلًا حبَّات المطر تتلألأ كأنَّها الألماس تحت الضَّوء.

«ماذا لدينا هنا بحقِّ السَّماء؟» هتفَ بابا مومين، إذ على الدَّرج جلس شيءٌ مبلَّلٌ بالماء وبائسٌ، بعينين سوداوين برَّاقتين.

«أنا فأر المِسك،» همهم المخلوق التَّعيس بصوتٍ واهنٍ. «فيلسوف، كما تعلم. ويتحتَّم عليَّ أن أشير إلى أنَّ مجهودك في بناء الجسر فوق النَّهر خرَّب بيتي تمامًا عند الضّفَّة، وعلى الرُّغم من أنَّ ما حدث لا يهمُّ قطعًا، يجدر بي القول إنَّه حتَّى الفيلسوف قد يُبالي إذا بلَّل المطر جلدَه.»

«أنا آسف جدًّا جدًّا،» اعتذر بابا مومين. «لم أملك أيَّ فكرةٍ عَنْ أنَّك تعيش تحت الجسر. ادخلْ رجاءً. أنا متأكِّدٌ من أنَّ زوجتي تستطيع تجهيزَ سريرٍ لكَ.»

«لستُ ممَّن تستهويهم الأسِرَّة كثيرًا،» أجابَ فأر المسك، «إنَّها أثاث غيرُ ضروريٍّ حقًّا. لا أعيش إلَّا في حفرة، لكنَّني كنتُ سعيدًا هناك. طبعًا بالنِّسبة إلى فيلسوف لا يهمُّ أسعيد هو أم لا، مع ذلك كانت حفرةً جيِّدةً...» بعد هذه الكلمات التي لم يُقصد بها أن تبدو فظَّةً، نجح في استجماع طاقةٍ وهمَّةٍ كافيتين ليدخلَ البيتَ، حيثُ نفضَ عنه الماءَ وقال: «يا له من بيتٍ استثنائيّ بيتكَ هذا!»

«إنَّهُ بيت المومين،» وضَّح بابا مومين الذي أدركَ أنَّهُ يحاورُ مخلوقًا مميَّزًا. «بنيْتُهُ بنفسي في مكانٍ آخرَ، وعندما جاء الفيضان العظيم قبل بضعة شهور عام البيتُ إلى هذا الوادي. آمل أن تسعدَ هنا. أجده مكانًا ممتازًا للعمل فيه.»

«أنا قادر على العمل في أيِّ مكان،» علَّق فأر المسك. «إنَّها ليست إلَّا مسألة تفكير. أجلس وأفكِّرُ كيف أنَّ كلَّ شيء هنا غيرُ ضروريٍّ.»

«حقًّا؟» هتف بابا مومين بتأثُّرٍ عظيمٍ. «ربَّما يجدر بي أن أعرضَ عليك قدح نبيذٍ؟ لتتَّقيَ البرد؟»

«نبيذٌ، يتحتَّم عليَّ أن أقول إنَّه غير ضروريٍّ،» ردَّ فأر المسك، «لكن على الرَّغمِ من ذلك قطرةٌ صغيرةٌ منه لن تكونَ غير مرحَّبٍ بها.»

وبالتَّالي تسلَّلَ بابا مومين إلى المطبخ، وفتح خزانةَ النَّبيذ في الظَّلام. مطَّ جسمه قدرَ المُستطاع ليصل إلى قنينةِ نبيذِ النَّخيل في الرَّفِّ العلويِّ، مطَّ ومطَّ، ثمَّ بلا سابق إنذار، وقع انهيارٌ رهيبٌ: فقد أسقط بابا مومين صحنَ خضرواتٍ. وفي لحظةٍ بُعثت الحياةُ في البيت. استيقظَ النّائمون هناك، وتعالى صياحهم وخبطوا الأبواب، وأقبلت ماما مومين تجري وهي تحمل شمعةً.

«أوه! هذا أنتَ،» هتفَت. «ظننتُ أنَّ أحدًا اقتحمَ البيتَ.»

«أردْتُ جلبَ قنينةِ نبيذِ النَّخيلِ،» قال بابا مومين. «لكنَّ أحمقَ سخيفًا وضع صحن الخضرواتِ الغبيِّ ذاك على طرف الرَّفِّ تمامًا.»

«لا يهمُّ،» هدَّأتهُ ماما مومين. «جيِّدٌ أنَّه انكسرَ - كان قبيحًا جدًّا. استعِن بمقعدٍ يا عزيزي، سيكون هذا أسهل.»

وهكذا اعتلى بابا مومين مقعدًا، وأنزلَ القنينةَ وثلاثةَ أقداحٍ.

«لمن القدحُ الثَّالث؟» استفسرَتْ ماما مومين.

«لفأرِ المسك،» أجاب بابا مومين. «رجلٌ عظيمٌ. سيعيش هنا – بعد موافقتكِ طبعًا يا عزيزتي.» ثمَّ نادى فأر المسك، وعرَّفهُ إلى ماما مومين.

بعدئذٍ، جلسوا في الشُّرفة وتبادلوا الأنخاب. وكذلك سُمِح لمومين ترول وسنيف، النُّزولَ مع أنَّهم كانوا في منتصف الليل. لم يكفَّ المطر عنِ التَّساقط، وعلِقَت الرِّيح في المدخنة حيث راحت تعوي بزئيرٍ مخيفٍ.

«عشْتُ عند ضفَّة هذا النَّهر طوال حياتي،» قال فأر المسك، «ولم يسبق لي أنْ شهدتُ مثل هذا الجوِّ. ليس أن هذا يعني وجود فرقٍ بالنسبة لي، ما عدا أنَّه يمنحني شيئًا جديدًا لأفكِّر فيه. لو أنَّ المطرَ انهمر في الوادي الآخر الحارِّ والجافِّ عند الجانبِ الآخر من الجبال لكان ذلك أفضلُ بكثير. لا نحتاج إلى المطر هنا مع وجود النَّدى الكثيف الذي يأتينا في كلِّ صباحٍ.»

«كيف تعرف ما هي الحال في الطَّرف الآخر من الجبال، ما دمتَ قد عشت طوال حياتك هنا يا عمِّي فأر المسك؟» سأله سنيف.

«سبحَ قندسٌ إلى هنا مرَّةً وأخبرني،» أجاب فأر المسك. «أنا بنفسي لا أقوم بأيِّ رحلاتٍ غير ضروريَّةٍ.»

«أنا أحبُّ القيام بالرَّحلات!» هتف مومين ترول. «ولا تكاد تكون هناك أشياءُ غيرُ ضروريةٍ في الدُّنيا، كما أعتقد، باستثناء العصيدة وغسل...»

«صَه يا صغيري،» قالت ماما مومين. «فأر المسك رجلٌ حكيمٌ مُطَّلِعٌ على كلِّ شيءٍ، ويعرف لماذا ليست تلك الأشياء ضرورية. أمَّا الآن، فآملُ فقط، كما قلتُ، ألَّا يجتاحَنَا فيضانٌ آخرُ.»

«مَن يدري؟» علَّق فأرُ المسك. «مؤخَّرًا لمستُ بما لا يقبل الشَّكَّ شيئًا غريبًا في الهواء. جاءَتني نُذُرُ شؤمٍ مبهمةٍ، وفكَّرتُ أكثرَ من المعتاد. ما يحدث سيَّان بالنِّسبة لي، إلَّا أنَّ هناكَ شيئًا واحدًا مؤكّدًا أَلا وهو أنَّ حدثًا ما سيجري.»

«أهو شيءٌ سيِّئٌ؟» سأله سنيف، وهو يُحكِم شدَّ قميص نومه حوله.

«لا أحد أبدًا يستطيع التَّكهُّنَ،» أجاب فأر المسك.

«علينا الآن أن نذهبَ كلُّنا إلى الفراش،» أعلنت ماما مومين. «ليس جيِّدًا للأطفال أن يسمعوا قصصًا مخيفةً في الليل.»

وهكذا زحف كلٌّ منهم إلى زاويته المعتادة ونام. لكن في الصَّباح بقيت السُّحب المُدجَّجةُ بالمطر تلحِف في التَّقدُّم عبر السَّماء، والرِّيحُ الموحشة تعوي خلال الأشجار الزَّرقاء.

2

وهو عن أجرامٍ سماويَّةٍ بذيولٍ

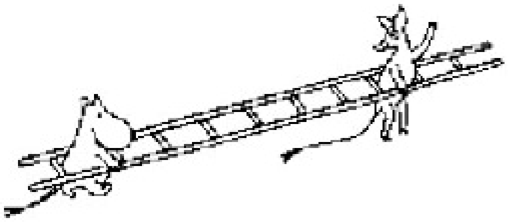

كان اليوم التَّالي غائمًا. خرج فأر المسك إلى الحديقة، واستلقى على الأرجوحة ليفكِّر. وانكبّ بابا مومين على كتابةِ مذكِّراته في الغرفة التي بزرقة السَّماء. أمَّا مومين ترول، فأخذَ يتسكَّع عند باب المطبخِ.

«ماما،» بدأ، «أتظنِّينَ أنَّ فأر المسك عنَى أيَّ شيءٍ خاصٍّ عندما أشار إلى نُذرِ الشُّؤم تلك؟»

«لا أعتقد أنَّه عَنَى ذلك بحذافيره،» قالت ماما مومين. «لا تجعل هذا يقلقكَ يا صغيري. لعلَّهُ عانى من البرد في ذلك المطر الغزير، وانتابه شعورٌ غريبٌ. هيَّا الآن اذهبْ مع سنيف، واجمعَا لي بعض الإِجاص منَ الأشجار الزَّرقاءِ.»

انطلق مومين ترول وهو مستغرقٌ أيّما استغراق في التَّفكير، وقرَّرَ أنْ يُحادِثَ فأر المسك في ذلك الشَّأن لاحقًا. حمل هو وسنيف إلى أعلى التَّل أطولَ سلَّمٍ وجداه.

«أنحنُ ذاهبان إلى كهفي؟» سألَه سنيف.

«نعم،» أجاب مومين ترول. «في ما بعد. لكن أوَّلًا علينا أنْ نجمعَ بعض الإجاص لماما.»

عندما وصلا إلى أضخم شجرةٍ زرقاءَ شاهدا النَّسناسة الحريريَّة قابعةً على الأغصان تلوِّح لهما. «مرحبًا!» صرَّت. «يا له من جوٍّ سيِّئٍ! بيتي غارقٌ بالماء، والغابةُ بأسرها موحشة. أأنتما قادمان للبحث عنِ السَّراطين؟»

«لا وقتَ لدينا،» ردَّ مومين ترول. «ستُعِدُّ ماما بعض المربَّى. ثمَّ إنَّ لدينا أشياءَ أخرى أهمّ تشغلُ بالَنا.»

«أخبرني!» قالتِ النَّسناسة.

«لا أستطيع أنْ أقولَ أكثر من أنَّ خطبًا ما سيحدثُ،» أجاب مومين ترول. «شيئًا مخيفًا وغيرَ ضروريٍّ لا أحد يعرف عنه الكثير. لكن مؤخَّرًا كان الهواء عابقًا بشيءٍ غريبٍ.»

«ها! ها!» قهقهت النَّسناسة الحريريَّة. «مضحكٌ جدًّا!»

«اسكتي الآن،» نهرَهَا مومين ترول وهو يسندُ السُّلَّم على الشَّجرة الزَّرقاء، «وحاولي أنْ تكوني مفيدةً على سبيل التَّغيير.»

تضمَّن قطفُ ثمار الإجاص مرحًا هائلًا؛ لأنَّ المرءَ يمكن أن يقذفَهَا أرضًا بقدر ما يحلو له من عنفٍ، حيث تَرتدُّ الثمارُ عنِ الأرضِ كأنَّها كُراتٍ مطاطيَّةٍ. قطف مومين ترول ورفيقاه تلك الفاكهة، وقذفوها وصاحوا ابتهاجًا، والإِجاص ارتدَّ

كالكرة وتدحرج في جميع الاتجاهات إلى أن غطَّى الأرض في الأسفل. ضحكتِ النَّسناسة إلى أن كادت تقع من على الشَّجرة.

«هذا يكفي،» لهثَ مومين ترول أخيرًا. «لا نستطيع أن نأكلَ ذلك المربَّى كلَّه في سنة.

والآن سنُدحرج الإجاص إلى النَّهر – أنا سأحرسه عند الجسر. وأنت يا نسناسةُ ابقي هنا، واهتمِّي بهذه النَّاحية، وسنيف يمكنه أن يراقبَ عمليةَ النَّقلِ إلى الماء.»

«نُدحرج الإجاص إلى النَّهر!» صاح سنيف بحماسة وسارع إلى الجري نزولًا، في حين دحرجَتِ النَّسناسة الثِّمار واحدة تلو الأخرى على طول المنحدرِ.

وإلى الأسفل سقطَ الإجاص، دوَّم في تيَّار الماء، ثمَّ ارتدَّ نحو الأحجار. وجرى سنيف هنا وهناك وهو يخز الثِّمار بعود طويل عندما تعلَقُ في رحلتها نحو الجسر، حيث يلتقطها مومين ترول ويكدِّسها في كومة كبيرة على الضّفَّة. بعد فترةٍ خرجت ماما مومين من البيت وبيدها جرسٌ كبيرٌ. «وقت الغداء يا أطفال!» نادت.

«حسنًا،» هتف مومين ترول عندما أصبح في الحديقة، «ألم نلتقطْ كميَّةً كبيرةً؟»

«نعم بالتَّأكيد!» أجابت ماما مومين. «أنا لم يسبق لي قطُّ أن رأيت هذه الكمّية مِنَ الإجاص!»

«والآن، أيمكن أن نخرجَ ونأخذَ غداءَنَا معنا؟» قال مومين ترول. «إلى مكان سرِّيٍّ يخصُّنا؟»

«أوه، رجاءً!» استعطف سنيف. «نريد طعامًا كثيرًا، ليكون لدينا ما يكفي التَّسناسة الحريريَّة. وهل يمكن أنْ نحصلَ على ليموناضة أيضًا؟»

«نعم، طبعًا يا أحبَابِي،» أجابت ماما مومين، وانهمكت تغلِّف مختلفَ أنواعِ الأطعمة الشَّهيَّةِ، ثمَّ وضعتْهَا في سلَّةٍ مع مظلَّةٍ عليها من بابِ الاحتياطِ.

كان الجوُّ ما زال مكفهرًا وغائمًا عندما بلغوا الكهف. بقِيَ مومين ترول هادئًا نوعًا ما وهُم في طريقهم إلى الأعلى، كان قلقًا على لآلئهِ، ومباشرةً حالما زحفوا عبر الفتحة، زعق بصوتٍ مذعورٍ: «شخصٌ ما جاء إلى هنا!»

«في كهفي!» صرخ سنيف. «البائس التَّعيس!»

اللآلئ، التي سبق أن تركوها مرتَّبةً جيِّدًا بصفوفٍ، جُمعت وسط أرض الكهف بنمطٍ معيَّنٍ.

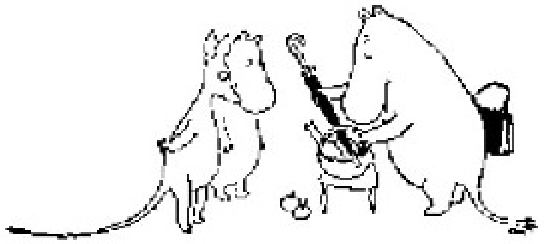

«يمكنكِ في جميع الأحوال أن تعدِّيها،» قال مومين ترول للنَّسناسة الحريريَّة الَّتي انضمَّت إليهما في الغابة، «فأنتِ أمينةُ الصُّندوق.»

وهكذا حسبت عدد اللآلئ أربعَ مرَّاتٍ، ثم مرَّةً أخرى من أجل الحظِّ الحسنِ، لكنَّها كانت تتوصّل في كلِّ مرّةٍ إلى جوابٍ مختلفٍ. «كم كان لدينا من قبل؟» سألها مومين ترول.

«لا أتذكَّر،» قالت النَّسناسة، «لكنَّ الحسبة أتَت مختلفةً كلَّما كرَّرْتُ عدَّ اللآلئ آنذاك أيضًا.»

«أوه!» همهم مومين ترول. «لا بأس، أعتقدُ أنَّ هذا صحيحٌ. ومع ذلك أنا أتساءل من تراه دخل إلى هنا؟»

جلسوا ينظرون عابسين إلى النَّمط الذي شُكِّلت به اللآلئ.

«إنَّه يبدو مثل شيءٍ ما،» قال سنيف أخيرًا. «مثلَ نجمةٍ على ما أظنُّ.»

«مثلَ نجمةٍ بذيلٍ،» أضافت النَّسناسة الحريريَّةُ.

عاينها سنيف بنظرة شكٍّ. «أفترضُ أنَّه ليس أنتِ من فعل هذا؟» قال، إذ تذكَّر جيِّدًا كيف رسمت النَّسناسة الحريريَّة تلك العلامة الملتوية على جميع جذوع أشجار الدَّرب الغامضِ.

«كان يمكن أن أكون أنا،» أجابت، «إنَّما هذه المرَّة يصدف أنَّ هذا من عمل مخلوقٍ آخرَ.»

«يمكن أن يكون الفاعل أيَّ أحدٍ،» قال مومين ترول، «لكن لا تهتمَّا لهذا الآن. هيَّا نأكل أوَّلًا.»

وهكذا أخرجُوا الفطائر والسَّندويتشات والموز والليموناضة من السَّلَّة، وقسمُوا الطَّعام على ثلاثة بالتَّساوي. ثمَّ سادَ الصَّمت عدَّة دقائقَ بينما أخذوا يمضغون بسرور. عندما أكلوا كلَّ ما لديهم، جهَّزوا حفرةً في الرَّمل، وطمروا الورق وقشر الموز. وبعد ذلك جهَّزوا حفرةً أخرى ودفنوا اللآلئ. بعدئذٍ انبرى مومين ترول يقول: «الآن بعد أن أكلتُ وفكَّرتُ أصبحَ كلُّ شيءٍ أوضحَ قليلًا. هذه النَّجمة المُذيَّلة هي بلا شكٍّ تحذيرٌ أو تهديدٌ. لعلَّ كائنًا ما غاضبٌ منَّا لسببٍ نجهلُهُ – مخلوقٌ تابعٌ لمنظَّمة سرِّيَّةٍ على سبيلِ المثال.»

«أتعتقد أنَّه قريبٌ منَّا في مكانٍ ما؟» سأله سنيف الذي بدأ يشعرُ بالقلق. «ربَّما هو ببساطةٍ غاضبٌ منِّي، ألَا يُحتمَلُ هذا؟»

«بَلَى، أنتَ على وجه الخصوص،» أجاب مومين ترول. «هذا محتملٌ جدًّا. ربَّما هذا الكهف الذي اكتشفْتُه يعودُ له.»

شحُب وجه سنيف شحوبًا شديدًا، وقال: «ألا يُستحسن بنا أن نعودَ إلى البيت؟»

لكن، لا أحد أولى هذه الملاحظة الاهتمام طبعًا؛ وبدلًا من ذلك مضَوا إلى الحافَّةِ، ووقفوا يتأمَّلُون البحر. كان أشبهَ بلحافٍ هائلٍ مِنَ الحريرِ الرَّماديِّ تزيِّنه أزهار بيضاءُ. وتلك الأزهار لم تكن إلّا نوارسَ مُسترخية في الماء ورؤوسُها منبثقةٌ فوق سطحهِ.

فجأةً بدأتِ النَّسناسة تضحك. «انظرا!» هتفت، «تلك النَّوارسُ الطَّريفةُ تعتقد أنَّها زخارفُ. لقد تجمَّعت توًّا مشكِّلةً هيئةَ نجمةٍ كبيرةٍ!»

«نجمةٌ بذيلٍ!» هتف مومين ترول.

بدأ سنيف يرتعد بشدَّةٍ. ثمَّ أطلقَ ساقيه للريح، وجرى يقطع الحافة الضيّقة، وقد نَسِيَ تمامًا أنَّه كان في السَّابق خائفًا مِنَ السُّقوط على الرَّمل، ومن هناك هرع إلى وادي المومين. في طريقه تعثَّر بالحشِيشِ والجذورِ، عَلِقَ بين الأغصان، خرَّ على أنفه، تخبَّط عبر الجدول، وأخيرًا وصل إلى الوادي مشوّشًا ومنهكًا. اندفعَ كالسَّهم إلى بيت المومين.

«ما الحكايةُ الآن؟» استفسرت ماما مومين التي جلست تحرِّكُ المربّى. زحفَ سنيف نحوها، ثمَّ التصق بها وخبَّأ أنفه في مئزَرِهَا. «منظَّمةٌ سرِّيَّةٌ تلاحقني،» همس. «إنَّهَا قادمة لتنالَ منِّي و...»

«ليس وأنا هنا،» هدَّأته ماما مومين. «حسنًا، ما رأيك في لعقِ القدر؟»

«لا أجرؤ،» ناح سنيف. «ليس الآن. ربَّما أبدًا!» ثمَّ بعد فترةٍ قصيرةٍ قال: «طيِّب، قد ألعق أطرافَها فقط وأنا أنتظر.»

عندما وصل مومين ترول، كان أكبر وعاء مربَّى لدى أمِّه عامرًا، وسنيف منهمكٌ في لعق قعرِ القدر.

«أممم،» همهمَ مومين ترول. «أمورٌ غريبةٌ تجري.»

«ماذا الآن؟» استفهمَ سنيف وهو يرفع رأسه بقلقٍ خارجَ القدرِ.

«لا شيء،» أجاب مومين ترول الذي لم يشأْ أن يزيد من فزع سنيف. «أنا ذاهبٌ لأتحدَّثَ مع فأرِ المسكِ قليلاً.»

❃ ❃ ❃

كان فأرُ المسكِ ما زال مستلقيًا في أرجوحته يفكِّرُ.

«مساءُ الخير يا عمِّي فأرَ المسكِ!» بدأ مومين ترول. «أتعلمُ أنْ ثمَّةَ أشياء غريبة قد بدأت تحدثُ؟»

«لا شيء جديد في جميع الأحوال،» ردَّ فأرُ المسك.

«أوه بلى،» قال مومين ترول. «جديد تمامًا. هناك أناسٌ في الغابة يضعونَ

علاماتٍ سرِّيَّةٍ في كلِّ مكان – تهديداتٍ أو تحذيراتٍ أو نحو ذلك. عندما عدنا إلى البيت قبل قليل أنا والنَّسناسة الحريريَّة، رأينا أنَّ أحدَهم رتَّب إجاص مربَّى أمِّي بنمط بدا مثلَ نجمَةٍ بذيلٍ.»

تأمَّله فار المسك بعينيه السَّوداوين اللامعتين، نفض شاربه، ولم ينبَسْ بكلمةٍ.

«شيءٌ ما يجري،» أصرَّ مومين ترول. «النَّوارسُ تجمَّعت على شكل النَّجمة نفسِهِ، وكذلك دروب النَّمل في الغابة. أعتقد أنَّها منظَّمةٌ سرِّيَّةٌ تهدِّدُ الحيوانَ الصَّغير سنيف، وتسعى للثأرِ.»

هزَّ فأر المسك رأسه. «أَحترمُ استنباطَاتِكَ كثيرًا،» قال، «لكنَّكَ مخطِئٌ، تمامًا وإطلاقًا، وبلا أدنى شكٍّ.»

«أوه! حسنًا هذا شيء جيِّدٌ،» علَّق مومين ترول.

«ههمم ففه!» استدرك فأرُ المسك بنبرةٍ كئيبةٍ. «طبعًا هذا كلُّه لا يشكِّل أيَّ فرق بالنِّسبة لي. مع ذلك يجب أنْ أقرَّ بأنَّني أشعر بقدرٍ قليلٍ منَ الامتنان؛ لأنَّ نُذُرَ الشُّؤمِ التي راودتني كانت صحيحةً.»

«ماذا تعني؟» استفهمَ مومين ترول. «أتعني أنَّ شيئًا غيرَ ضروريٍّ سيحدثُ؟»

أطال فأر المسكِ التَّفكير بصمتٍ، تقطَّب جبينُهُ وتجعَّد. «أتعرفُ ما تعنيه نجمةٌ بذيلٍ؟» سألَ أخيرًا.

«لا،» اعترَفَ مومين ترول.

«هذا مُذنَّبٌ،» قال فأرُ المسك. «جُرمٌ سماويٌّ متأجِّجٌ يومض في الفضاءِ الأسودِ في ما بعد السَّماء ويجرُّ وراءَه ذيلًا ناريًّا.»

«ربَّاه، يا ويلي!» هتف مومين ترول، واسودَّت عيناه منَ الفزع. «أهو قادمٌ إلى هنا؟»

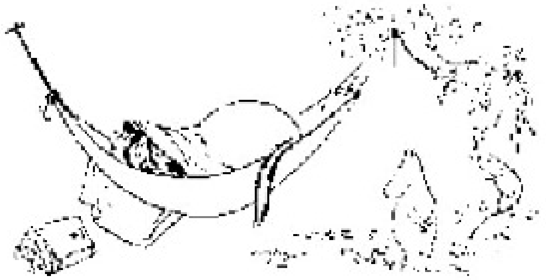

«لم أتعمَّقْ كثيرًا في دراسة هذه النُّقطة،» أجابَ فأرُ المسكِ. «قد يأتي وقد لا يأتي. هذا سيَّان بالنِّسبة إلى مخلوقٍ يعرف أنَّ كلَّ شيءٍ غيرُ ضروريٍّ.»

رفع مومين ترول رأسَه ينظر إلى السَّماء الرَّماديَّة السَّاكنة، وفكَّر كيف أنَّها تبدو كحالها اليوميَّةِ المعتادة، ثمَّ غمغَمَ: «مع ذلك، لا يعجبني هذا... لا يعجبني أبدًا.»

«أودُّ أنْ أنامَ الآن،» قال فأرُ المسك. «اركضْ والعبْ يا صغيري. العبْ بقدرِ ما يمكنك أنْ تلعبَ.»

تردَّد مومين ترول. «أمرٌ واحدٌ آخرُ فقط،» قال، «أهناك من يعرفُ معلوماتٍ أكثر عن طِباع المُذنَّبَاتِ؟ شخص يعرف إذا كان هذا المُذنَّبُ سيضرب الأرضَ أم لا؟»

«حسنًا، الأساتذةُ في المرصد الفلكيِّ في الجبالِ المهجورَةِ يجبُ أنْ يعرِفُوا،» أجابَ فأرُ المسكِ. «إذا كانوا مُطَّلعين على أيِّ شيءٍ فهذا هو. أمَّا الآن، فعليك أن تجريَ بعيدًا وتتركَنِي بسلام.»

ابتعدَ مومين ترول وهو مستغرقٌ في التَّفكير.

«ماذا قال؟» بادره سنيف بالسُّؤال، وقد لَبِثَ ينتظر مترقِّبًا وراء الزَّاوية. «أهي حقًّا مُنظَّمةٌ سرِّيَّةٌ؟»

«لا،» أجابَ مومين ترول.

«وليس واحدًا من وحوش السَّماء؟» استفهم سنيف بقلقٍ،» ليس عقربًا ولا دبًّا؟»

«لا، لا،» ردَّ مومين ترول، «لا تجعلْ هذا يقلقكَ أكثر من ذلك.»

«لكن لماذا تبدو في منتهى الجدِّية؟» استفسر سنيف.

«أنا أفكِّر،» قال مومين ترول. «أفكِّرُ في أنْ نذهبَ أنا وأنت في رحلةٍ استكشافيَّةٍ. وستكون أطولَ رحلةٍ لنا على الإطلاق. سنذهبُ لنعثرَ على

المرصد الفلكيِّ في الجبال المهجورةِ، وننظر إلى الكواكبِ والنُّجوم من خلال أكبرِ تليسكوب في العالم. ويجدر بنا أن ننطلِقَ بأسرع وقتٍ ممكنٍ.»

3

وهو عَنْ كيفيَّةِ التَّصرّفِ مع التَّماسيحِ

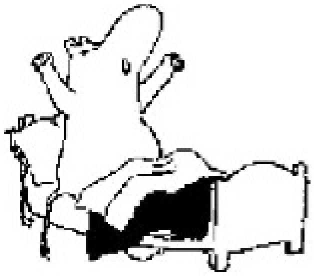

في الصَّباح التَّالي، حتَّى قبل أن يصحوَ مومين ترول جيِّدًا، أنبأته عظامُه أنَّ يومَه سيكون مميّزًا. اعتدل في السَّرير وهو يتثاءبُ تثاؤبًا هائلًا، وفي الحال تذكَّر أنَّه هو وسنيف سينطلقان اليوم في رحلتهما الاستكشافيَّةِ العظيمةِ. هرع إلى النَّافذة ليتفحَّص الجوَّ. رأى أنَّ الجوَّ ما زال غائِمًا، والسُّحبَ واطئةٌ ومتدلِّيةٌ فوقَ التِّلال، وَلا ورقة شجرةٍ واحدةٍ تهتزُّ في الحديقة. تحمَّس مومين ترول كثيرًا إلى درجةِ أنَّ خوفَهُ من المذنَّبِ تخلَّى عنهُ.

«سنكتشفُ أينَ هو هذا المشروع الرَّديءُ، وبعد ذلك نحاول منعه من القدومِ إلى هُنَا،» فكَّر. «ويُستحسن أنْ أحتفِظَ بهذا لنفسي، إذ لو علم سنيف سيخافُ كثيرًا بحيثُ يصبحُ بلا أدنى فائدة لأيِّ أحدٍ.» ثمَّ بصوتٍ عالٍ نادى: « انهضْ أيُّها المخلوق الصَّغير، سننطلقُ إلى مهمَّتنا الآن.»

استيقظَتْ ماما مومين في وقت مبكِّرٍ جدًّا لتحزمَ لهما حقيبتَي الظَّهر، وتخبَّطت هنا وهناك حاملةً الجوارب الصُّوفيَّةَ ورزم السَّندويتشات، بينما في

الأسفل عند الجسر انهمَكَ بابا مومين يجهِّزُ لهما العوَّامةَ.

«حبيبتي ماما،» قال مومين ترول، «قد لا نستطيعُ أنْ نأخذَ كلَّ هذا معنا. سيضحك علينا الجميعُ.»

«الجوُّ باردٌ في الجبال المهجورة،» قالت ماما مومين وهي تحشر في الحقيبة مظلَّةً ومقلاة. «أتحملُ معك البوصلَةَ؟»

«نعم،» أجاب مومين ترول. «لكن أَلَا يمكنُكِ على الأقلِّ أنْ تُغفِلي أمرَ الصُّحون. في وسعنا بسهولة أن نستعمل أوراق الرَّاوند.»

«كما تشاء يا موميني الصَّغير المحبوب.» قالت الأمُّ وهي تخرج الصُّحونَ من قاع الحقيبة. «أظنُّ الآن أنَّ كلَّ شيءٍ جاهزٌ.» ثمَّ نزلت إلى الجسر لتودِّعَهما.

جُهِّزَت العوامَةُ ورُفِعَ شراعُهَا، وجَاءتِ النَّسناسة الحريريَّةُ إلى الضّفة لتودِّعهما، بيد أنَّها رفضَتْ مرافقتهما لأنَّها تخافُ مِنَ الماءِ.

أمَّا فأر المسك فلمْ يحضُرْ؛ لأنَّه لم يرغبْ في أن يعكِّرَ أيُّ شيءٍ تأمُّلَاتِهِ عن عدم وجودِ ضرورةٍ لأيِّ شيءٍ (إضافةً إلى أنَّه كان منزعجًا نوعًا ما من مومين ترول وسنيف لأنَّهما دسَّا فرشاة شعرٍ في سريره).

«لا تنسيا أن تلتزما الجانبَ الأيمن من النَّهر،» أوصاهما بابا مومين. «ما كنت لأمانِعَ الذَّهاب معكما،» أضاف بنبرةٍ حزينةٍ، متذكِّرًا رحلاتِ المغامراتِ التي قامَ بها في شبابه مع جماعة الهاتيفاتنر الصِّغار دائمي التَّجوُّل.

عانق سنيف وومين ترول الجميع، رُفِع حبلُ المرساة، وبدأتِ العوَّامة تطفو على النَّهر.

«تذكَّرْ يا مومين ترول أن تبلِّغَ سلامي لكلِّ أقارب بيت المومين!» صاحت ماما مومين. «أولئك أصحابَ الشَّعرِ الأشعَثِ، كما تعلم، والرُّؤوسِ المستديرَةِ. والبسْ بنطلونَكَ الصُّوفيَّ عندما يستفحِلُ البرد! بودرةُ البطن في جيبِ حقيبَةِ ظهرِكَ الأيسَرِ!»

في تلك الآونة كانت العوَّامةُ قد أبحرت قُدمًا واستدارت عند أقرب منحنى للنهر، وأمامهما امتدَّ المجهول، جامحًا ومغريًا.

❃ ❃ ❃

كانا في وقت متأخِّرٍ من المساء، وشراعُ العوَّامة ذو الحمرة الصَّدئة رفرف حُرًّا، والنَّهر انبسط بين ضفتيه الظَّليلتين بلونه الفضيِّ الدَّاكنِ. لم يغرِّدْ طائرٌ واحدٌ؛ بل حتَّى الحساسين الطَّائشةُ التي تزقزق عادةً من الصَّباح إلى الليل لاذت بالصَّمت.

«ولا مغامرة واحدة في يوم بأكمله،» قال سنيف الذي أخذَ دورَه في توجيه العوَّامة بما أنَّ التَّيار غدا أبطأ. «لا شيءَ سوى ضفافٍ رماديَّةٍ وضفافٍ رماديَّةٍ وضفافٍ رماديَّةٍ، إنَّما ولا حتَّى أيَّ مغامرةٍ واحدةٍ.»

«أعتقدُ أنَّها مغامرةٌ بحدِّ ذاتها أنْ نعومَ في نهرٍ متعرِّجٍ،» ردَّ مومين ترول. «لا يمكنُكَ أبدًا أن تخمِّن ما قد تقابلُ في المنعطفِ التَّالي. أنت دائمًا تبحثُ عنِ المغامرات يا سنيف، وعندما تحدثُ تخافُ كثيرًا جدًّا ولا تعرفُ ما العملَ.»

«حسنًا، أنا لستُ أسدًا،» قال سنيف بنبرةٍ مؤنِّبةٍ. «تستهويني المغامراتُ الصَّغيرةُ، المغامراتُ ذات الحجمِ المناسبِ فقط.»

في تلك اللحظة تقدَّمت العوَّامةُ ببطءٍ ملتفَّة حول منعطفٍ. «ها هي المغامرةُ ذات الحجمِ المناسبِ لكَ،» قال مومين ترول وهو يشيرُ بيدِه. إذ أمامهما تمامًا ظهرَ مَا بدا مثل كومةٍ من زنودِ الخشب الرَّماديَّة المستقرَّة على ضفَّةٍ رمليَّةٍ. وتلك الزُّنود كانت مرتَّبةً على شكل ذلك النَّمط السِّرِّيِّ – نجمةٌ بذيلٍ!

«ها هو الشَّكلُ هناك مجدَّدًا!» زعقَ سنيف.

فجأةً بدأتِ الزُّنودُ تتحرَّك، وانبثَقتْ لَها سيقَانٌ، ثمَّ انزلَقتِ الكتلةُ كلُّها بهدوءٍ تحتَ الماء.

«تماسيحُ!» صاحَ مومين ترول وقفزَ إلى الدَّفةِ. «لنأملَ أَلَّا تطاردَنَا!»

بدا أنَّ النَّهرَ يعجُّ بتلك الوحوشِ الَّتي شعَّت عيونُهَا بلونٍ أخضرَ باهت على سطحه، وفي الوقت نفسِهِ أخذَ المزيدُ منَ الأجسام الرَّماديةِ الشَّاحبةِ والمخيفةِ ينزلقُ من الضّفَّةِ الموحلةِ إلى النَّهر.

قبع سنيف في مؤخّرِ العوَّامَةِ، متيبِّسًا مِنَ الفزَعِ، ولمْ يتحرَّك إلَّا عندَمَا رفعَ تمساحٌ أنفَهُ قربَهُ، حيث عاجَلَهُ بضربَةٍ عنيفَةٍ على رأسه بمجدَافٍ.

كانت لحظةً فظيعةً. ذيولٌ تخبطُ سطحَ الماءِ؛ أفواهٌ عملاقةٌ بأنيابٍ ناتئَةٍ حادَّةٍ كالإبرِ، تنهشُ الهواء بغضبٍ، والعوَّامةُ تتأرجَحُ صعودًا ونزولًا على نحوٍ بالغِ الخطورَةِ.

أحكمَ مومين ترول وسنيف تشبُّثَهما بالسَّارية وصرخا طلبًا للنجدَةِ، لكن لحسنِ الحظِّ دَفعَت العوّامةَ في تلك اللحظة هبّة ريحٍ فجائيةٍ، فبدأت تتقدّمُ بسرعةٍ على طول النَّهر. بيدَ أنَّ التَّماسيحَ تبعتهَا بصفٍّ طويلٍ، وأفواهُهَا الشَّرسة فاغرةٌ.

أخفى سنيف وجهَهُ بكفَّيهِ، ومومين ترول الذي كان من شدَّةِ خوفهِ لا يكاد يعرف ما ينبغي فعله، أخرج البنطلونَ الصُّوفيَّ من حقيبة الظَّهر وألقاه إلى المطاردين.

شتَّتَ هذا انتباهَ التَّماسيح فورًا. سارعت إلى تمزيق البنطلون الصُّوفيِّ، وتقاتلت بشراسةٍ هائلةٍ عليه، وبينما شُغِلت بالتهام كل جزءٍ منه، كان مومين ترول وسنيف على بعدِ أميالٍ.

«أوه، يا ربِّي!» هتفَ مومين ترول. «هل أرضتكَ هذه المغامرةُ؟»

«أنت أيضًا صرخْتَ،» ردَّ سنيف.

«أفعلْتُ؟» قال مومين ترول. «لا أتذكَّرُ. على أيِّ حال أحسنَتْ ماما إذ وضعت هذا البنطلونَ الصُّوفيَّ.»

كان الظَّلامُ يُطبِقُ على النَّهر، وبالتَّالي أرسَيَا العوَّامة، وأوقدا نارًا بين جذور شجرةٍ ضخمَةٍ، وقليا للعشاء الفطائر التي أكلاها بأصابعهما واحدةً تلوَ أخرى بعد إخراجها من المقلاة. ثمَّ زحفا إلى كيسَيِّ النَّوم، وعليهما هبط الليل.

4

عن مقابلةِ سنفكين، وتجربةٍ فظيعَةٍ مع سحليةٍ عملاقةٍ

يومًا بعد يومٍ تغلَّفت الدُّنيا باللون الرَّمادي، بيْدَ أنَّهَا لم تمطرْ قطُّ. تدحرجَتْ أعمدة السُّحب بلا توقُّفٍ عبر السَّماء، وتحتها انبسطَتِ الأرضُ تنتظر. أبحرَ مومين ترول وسنيف شرقًا أبعد فأبعد على مَتنِ عوامتِهما. وبمَا أنَّهما لم يعتادا على البقاء بلا شمسٍ اعترتهما الكآبة ولاذا بالصَّمت. كانا أحيانًا يتسلَّيان بلعبِ الورقِ أو يؤلِّفان الشِّعر أو يصطادان سمكةً ليطهواها في القِدر، إنَّما في أغلَبِ وقتهما يكتفيان بالجلوس ويراقبان الضِّفاف تطفو أمامهُمَا. ما بين حينٍ وآخرَ تأمَّل مومين ترول السُّحب، وتساءل إن كان بإمكانِهِ أنْ يرَى المُذنَّب في حالِ تفرَّقت. لكنَّها لم تتفرَّق مطلقًا. وتاقَ في معظم الأوقات إلى إخبار سنيف عن وحشِ السَّماء العظيم الذي ينويان تحرِّي أمرَهُ، إلَّا أنَّها بدت له مجازفةً كبيرةً. فسنيف سيصابُ بالهلع فحسب.

شاهدا قبائلَ الهاتيفاتنر ثلاثَ مرَّاتٍ؛ تلك المخلوقات البيضاءِ ذاتِ الأحجام الصَّغيرةِ التي تتجوَّل إلى الأبد بقلقٍ من موضعٍ إلى موضعٍ، في مسعاها

المتشتِّت إِلَى شيءٍ لَا أحدَ يعرفُ مَا هُوَ. مرَّةً شاهدا أولئك الهاتيفاتنر يعبرون النَّهر في منطقةٍ ضحلَةٍ، ومرَّتين مرَّوا على مقربة منهما بقواربِهم الصَّغيرةِ الخفيفَةِ. بدَوا أكثر اضطرابًا مِنَ المعتادِ وهم يطفرون إِلَى الأمَامِ بسرعَةٍ عالِيةٍ، ولكن بما أنَّهم لا يسمعُونَ ولَا يتكلَّمونَ لم تُشكِّل مصادفتُهم أيَّ فائدةٍ لمومين ترول وسنيف، وَلا حتَّى ليقولَا مرحبًا لهم.

لاحتِ الضِّفاف مختلفةً الآن. اختفَت أشجارُ الحورِ الفضيَّةُ وأشجار الخوخ والبلوط، وعلى الرَّمل المهجور انتصبت وحيدةً أشجارٌ داكنةُ اللون بأغصانٍ ثقيلةٍ، بينما في المدى اشرأبَّت بحدَّةٍ تُجاه السَّماء أعناقُ جبالٍ ذاتُ صفرةٍ كالحةٍ.

«يا ربِّي،» تنهَّد مومين ترول. «أَمَا من نهايةٍ لهذا النَّهر؟»

«ما رأيكَ في أنْ نلعبَ البوكر؟» اقترح سنيف. فهزَّ مومين ترول رأسه وقال: «لا أشعرُ برغبةٍ في ذلك.»

«سأقرأ لكَ طالعكَ إذًا،» أصرَّ سنيف. «لعلَّ لديك واحدةً من تلك النُّجوم الميمونة تشعُّ عليك.»

«شكرًا،» تمتمَ مومين ترول بمرارةٍ. «نلتُ كفايتي منَ النُّجوم. بذيلٍ أو بلا ذيلٍ.»

تنهَّد سنيف بعمقٍ، وجلس فترةً طويلةً مغمومًا يراقبُ المناظر الطَّبيعيَّةَ الغريبةَ، وأنفُهُ بين كفَّيه. فجأةً جذبَ عينيهِ شيءٌ خارجٌ عنِ المألوفِ. بدا مثل

قرنِ آيس كريم أصفرَ مقلوبٍ، وهو أوّلُ شيءٍ زاهي اللون يظهرُ لَهمَا منذُ أسبوعٍ. كان عند ضفَّةِ الماء وعلى قمَّته شيءٌ بدا مثل علمٍ يُرفرف.

عندما ازداد مومين ترول وسنيف اقترابًا من ذلك الشَّيء، سمعا بوضوحٍ جليٍّ صوتَ موسيقى؛ موسيقى فرحةً في واقع الأمر. أجهدا آذانهما وهما يستمعان بشغفٍ، وينجرفان نحو الصَّوت ببطءٍ. في النِّهاية تبيَّنا أنَّ ذاك القَرن كان خيمَةً، فندَّتْ عنهما صيحاتُ ابتهاجٍ.

توقَّفتِ الموسيقى، ومنَ الخيمَةِ خرج مخلوقٌ اسمه سنفكين وبيده هارمونيكا. كانت هناك ريشةٌ على قبَّعتهِ الخضراءِ القديمَةِ، وسرعان ما صاح: «يا هوه! يا مَركَب يا هوه!»

قبض مومين ترول على الدَّفَّةِ فتأرجحَتِ العوَّامةُ، ومالت تُجاه اليابسةِ.

«أَنزِلا المرساة!» صاحَ سنفكين وهو يقفزُ بلهفَةٍ. «يا للروعة! أيُّ مرحٍ! قطعتُمَا هذه الطَّريقَ كلَّها لتريَانِي فقط!»

«حسنًا، نحن لم نقصدْ ذلك بالضَّبط،» وضّح مومين ترول وهو يتسلَّق نحو اليابسة.

«لا يهمُّ!» أجاب سنفكين. «المهمُّ فعلًا أنَّكما هنا. ستبقيان الليلة عندي، أليس كذلك؟»

«يسرُّنا هذا،» قال مومين ترول. «لم نرَ مخلوقًا منذ أن غادرنا البيت، وقد مضى على ذلك زمن طويل. لماذا، بحقِّ السَّماء، من بين كلِّ الأماكن تعيشُ هنا في هذه الصَّحراء؟»

«أنا رحَّالةٌ جوَّالٌ، أطرقُ جميع الأماكن،» ردَّ سنفكين. «أتسكَّع، وعندما أعثر على بقعةٍ تُعجبني أنصبُ خيمتي وأعزف على الهارمونيكا.»

«أتحبُّ هذا المكان؟» سأله سنيف متفاجئًا وهو ينظر إلى القفر المحيطِ بهم.

«بالتَّأكيد أحبُّه،» قال سنفكين. «تأمَّل تلك الشَّجرة بسوادِها المخمليِّ مع كلِّ الألوان الرَّماديَّةِ الجميلة وراءَها؛ انظُرْ إلى الجبال بلونِهَا الأرجواني الأحمرِ العميقِ في المدى! أحيانًا قد يأتي جاموس أزرقُ ضخم ليتأمَّلَ نفسَهُ في النَّهر.»

«أيصدُف أنَّكَ بأيِّ حال... أ...أ... رسام؟» استفسرَ مومين ترول بشيءٍ منَ الحياء.

«أو شاعِرٌ ربَّما؟» اقترحَ سنيف.

«أنا كلُّ شيءٍ!» قال سنفكين وهو يبادرُ إلى وضع إبريقِ الماءِ على النَّار. «وأنتُمَا كما أرى مُستكشِفَانِ. ما الذي تنويان استكشافَهُ يا تُرَى؟»

تنحنح مومين ترول والشُّعور بالفخر يطغَى عليه. «أوه، كلُّ شيءٍ،» قال. «كالنُّجوم على سبيل المثال!»

أثار هذا إعجاب سنفكين كثيرًا.

«النُّجومُ!» صاح. «إذًا لا بدَّ من أن أرافقكما. النُّجومُ هي أشيائي المفضَّلة. أنا دائمًا أستلقي وأتأمَّلها قبل أن أنام، وأتساءل مَن فيها وكيف يمكن أن يصلَ المرءُ إلى هناك. تبدو السَّماء ودودةً جدًّا مع كلِّ تلك العيون الصَّغيرة المُشعَّة فيها.»

«النَّجمُ الذي نبحَثُ عنه ليس ودودًا جدًّا،» أعلن مومين ترول. «بل على العكس تمامًا في الحقيقَةِ.»

«مــــــاذا! ماذا قـــلــــتَ؟» صاحَ سنيف.

تضرَّجَ وجه مومين ترول بشيءٍ منَ الحمرَةِ. «أعني... النُّجوم عمومًا،» أجاب، «كبيرة وصغيرة، ودودة وغير ودودةٍ وما إلى ذلك.»

«أيمكن ألَّا تكون ودودةً؟» استفهم سنفكين.

«نعم. تلك الَّتي بذيلٍ،» أجاب مومين ترول. «المُذنَّبات.»

أخيرًا، أدرك سنيف الأمرَ. «أنت تخفي عنِّي شيئًا!» قال بنبرةِ اتِّهام. «هذا له علاقةٌ بذلك النَّمط الذي رأيناه في كلِّ مكانٍ، وقلْتَ لي إِنَّهُ لا يعني شيئًا!»

«أنت أصغرُ بكثيرٍ من أن تطَّلِعَ على كلِّ شيءٍ،» أجاب مومين ترول.

«أصغرُ بكثيرٍ!» صاح سنيف. «يجب أن أقولَ إِنَّهُ لا بأس من اصطحابي في رحلةٍ استكشافيَّةٍ، ولا تخبرني ما يُفترض بي أنْ أكتشفَ!»

«لا تجعلْ هذا يزعجُكَ كثيرًا،» قال سنفكين. «اجلِسْ يا مومين ترول، وأخبرْنَا عن هذا بالتَّفصيلِ.»

تناول مومين ترول كوبَ القهوة الذي قدَّمه له سنفكين، جلسَ، وشرع يُطلعهما على ما قاله فأرُ المسك.

«وبعد ذلك سألْتُ بابا ما إذا كانت المُذنَّباتُ خطرةً،» تابع، «وقال بابا إنَّها كذلك. وأنَّها تندفع مثل أشياءَ مجنونةٍ في الفضاءِ الأسود الشَّاغرِ في ما وراء السَّماء، وتقطرُ خلفها ذيلًا مُلتهبًا. وفي حين تبقى النُّجوم الأخرى كلُّها ملتزمةً بمسارِهَا، وتمضي مثل قطاراتٍ على سكتها، يمكن أن تنطلق المُذنَّباتُ إلى أيِّ مكان؛ وتظهر هنا وهناك حيث لا يكاد أحد يتوقَّعُها مطلقًا.»

«مثلي،» علَّق سنفكين ضاحكًا. «لا ريبَ في أنَّها من المتسكِّعين في السَّماء!»

عاينه مومين ترول بنظرةِ استهجان. «هذا أمرٌ لا يستدعي المزاح،» قال. «إِذَا ضربَ مُذنَّبٌ الأرض سيكون ذلك فظيعًا.»

«ما يمكن أن يحدُثَ عندئذٍ؟» همس سنيف.

«ينفجرُ كلُّ شيءٍ،» أجاب مومين ترول بصوتٍ كئيبٍ.

خيَّم عليهم صمتٌ طويلٌ.

ثمَّ قالَ سنفكين بتأنٍ: «من الشَّنيع أنْ تنفجرَ الأرضُ. إنَّها في غاية الجمال.»

«وماذا عنَّا نحن؟» استفسر سنيف.

في جميع الأحوال، شعر مومين ترول أنَّه أكثرُ شجاعةً الآن بعد أن شاركَ غيره بالسِّرِّ. اعتدل في جلسته وقال: «لهذا ننوي الذَّهاب لنبحثَ عنِ المرصَدِ على قِمَمِ الجبالِ المهجورَةِ. لديهم هناك أكبرُ منظَارٍ في العالم، وسنكونُ قادرَينِ على اكتشاف ما إذا كان المُذنَّبُ سيضربُ الأرض أم لا.»

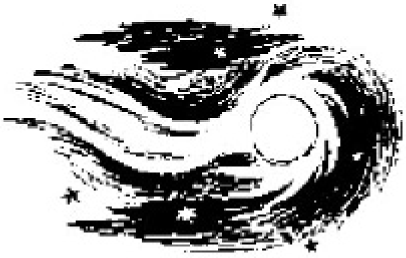

«ماذا عن أخذِ رَايتِي معنا؟» اقترح سنفكين. «يمكن أنْ نضعَهَا على قمَّةِ ساريةِ عوَّامتِكِ.»

نظَرَا إلى رايته، بينما أردف: «الأزرق في الأعلى يعني السَّماء، والأزرق في الأسفل يعني البحر. الخطُّ الفاصل بينهما يمثِّل الطَّريقَ، النُّقطةُ في الجهة اليسرى تُمثِّلني أنا في الوقت الحاضر، والنُّقطة الأخرى في الجهة اليمنى تُمثِّلني في المستقبل. أتوافقان؟»

«لا أرى أنَّك تستطيعُ إضافةَ شيءٍ آخرَ إلى رايةٍ،» قال مومين ترول. «ونحن نوافِقُ!»

«لكن أنا لست موافقًا،» اعترضَ سنيف.

«حسنًا، النُّقطة في اليسار يمكن أن تمثِّلَنا كلَّنا، إذا شوهِدت من ارتفاع عالٍ جدًّا،» قال سنفكين مُطيِّبًا الخواطر. «والآن أرى أن نستكشف ما حولنا قليلًا قبل العشاء.»

وهكذا انطلقوا، يتسلَّقون بين الصُّخور بحذرٍ، ويتفادون الأشجار المتشابكة في الأسفل.

«أريد فقط أن أريكما فلعًا فيه عقيق،» قال سنفكين. «إنَّه في هذا الضّوءِ الخافت ليس جميلًا بقدر جماله الحقيقي، لكن عندما تشرق الشَّمس يسعكما أن ترياه يتلألأ.»

«أهو عقيقٌ حقيقيٌّ؟» سأله سنيف.

«هذا ما لا أعرفه،» أجاب سنفكين، «لكنَّهُ على أيِّ حال جميلٌ.»

وهكذا قادهما في ضوء المساء الباهت عبر وهدٍ موحشٍ، ساكنٍ ومقفرٍ، وتحدَّثوا همسًا. فجأةً توقَّف سنفكين. «هنا،» همْهَمَ بصوتٍ منخفضٍ.

انحنَوا وأحدُّوا النَّظر. في قعرِ فلعٍ عميقٍ وضيِّقٍ لمعت مجموعاتٌ وافرةٌ من

العقيقِ مرسلةً وهجًا واهيًا في العتمةِ، فحلَّق ذهن مومين ترول نحو الفضاءِ الأسودِ خلف السَّماءِ حيث آلاف من المُذنَّبات تتوهَّج فيه.

«أوه!» همس سنيف. «بديع! أهذَا العقيقُ لك؟»

«ما دمتُ أقيمُ هنا،» أجاب سنفكين بلا مبالاة. «أنا سلطان كلِّ ما يقع عليه نظري. أنا أمتلك الأرض بأكملها.»

«أتعتقدُ أنَّني أستطيعُ الحصولَ على بعضِهِ؟» سأله سنيف بتوقٍ. «قد أتمكَّنُ من شراء يختٍ بهِ، أو زوجِ زلَّاجاتٍ.»

عندما ضحك سنفكين، وأخبره أن في وسعه أخذ ما يشتهي، قفزَ فورًا إلى الفلعِ الصَّخريِّ وبدأ يهبط نزولًا. قشط أنفه، وكاد تقريبًا يفقد موطِئَ قدمَيه، بيد أنَّ التَّفكيرَ في العقيقِ أمدَّهُ بالشَّجاعة. وفي النِّهاية، وهو يتنهَّدُ بعمقٍ وبكفَّين مرتعشتَينِ قليلًا بدأَ يجمع الأحجار المتلألئةَ. كبُرت كومةُ ما جمعَه أكثر فأكثر وهو يجري، أبعد فأبعد على طول الفلع ورعشةُ الإثارة تسري فيه.

«هللووو!» نادى سنفكين منَ الأعلَى. «ألن تصعد قريبًا؟ بدأَ الجوُّ يبردُ، ولن يلبثَ النَّدى أن يتساقط.»

«خلال دقيقةٍ،» صاح سنيف. «ما زالت هناك كميةٌ كبيرةٌ متبقيةٌ...» وأخذَ يتتبَّعُ العقيقَ، إذ رأى أمامه عقيقَتَينِ ضخمتَينِ حمراوين تشعَّان مثل العيون، تمامًا عند نهاية الفلع المُظلمة. فجأةً، وبهلعٍ لا يوصف، أدرك أنَّهما عينان حقيقيَّتان. عينان تطرفان وتتحرَّكان مقتربتان منه، يتبعهما جسمٌ حرشفي راحَ يتقدَّم نحوه كاشطًا الصُّخور ببرودٍ.

أطلق سنيف صريرًا مسعورًا، وجرى كالمجنونِ إلى المكان الذي نزل إليه، وهو يرتعد من رأسه إلى أخمص قدميه، وبدأ يتسلَّق صعودًا بكفَّين رطبتين من شدَّة الخوف، وثمَّةَ فحيح خافت مهدِّدٌ يتناهى إليه من الأسفل.

«ماذا يحدث؟» ناداه مومين ترول الذي سمعه يصعد. «لِمَ العجلة؟»

لم يردَّ سنيف. اكتفى بالتَّسلُّق. وعندما سحباه من الحافَّةِ أخيرًا، انهار أرضًا وتكوَّم منهكًا.

مال مومين ترول وسنفكين نحو حافة الفلع ودقَّقا النَّظر. ما شاهداه كان كفيلًا بإفزاع أيِّ شخصٍ. كان ذلك سحليةً عملاقةً جاثمةً على كومةٍ منَ

العقيقِ البرَّاقِ، مثل تنِّينٍ قبيحٍ يحرسُ كنزَه الجميلُ.

«ياه، يا عجَبِي!» صاح مومين ترول. أمَّا سنيف فكان ينشجُ على الأرضِ.

«انتهى كلُّ شيءٍ،» هدَّأهُ سنفكين. «كُفَّ عنِ البكاءِ يا سنيف.»

«العقيق،» ناح سنيف. «لم أحصلْ ولا على حجرٍ واحدٍ منه.»

جلس سنفكين إلى جانبه وقال ملاطفًا: «أعرف، لكن هذا ما يحدث عندما ترغب في أنْ تمتلِكَ الأشياءَ. أنا أكتفي بالنَّظر إليها، وعندما أمضي بعيدًا أحملها في رأسي. في هذه الحال تبقى يداي حرَّتان دائمًا؛ لأنه ليس عَليَّ أن أحملَ حقيبةً.»

«يمكن وضعُ العقيق في حقيبة الظَّهرِ،» قال سنيف بنبرةٍ حزينَةٍ. «لا تحتاج إلى يدين لحملِهِ. الاكتفاءُ بالنَّظر إليه ليس مثلَ الحصولِ عليه. أريد أن ألمسَهُ وأعرف أنَّه لي.»

«لا يهمُّ يا سنيف. أنا واثق من أنَّنا سنعثرُ على مزيدٍ من الكنوز،» قال مومين ترول مواسيًا. «هيَّا ابتهج الآن وتحرَّك. المكان هنا بدأ يصبح باردًا ومخيفًا.»

وهكذا، تلمَّسوا طريقهم عائدين عبر الوهد الملتحف بالظَّلام، وكلُّ واحدٍ منهم مستغرق في أفكاره الخاصَّةِ: ثلاثةُ مخلوقاتٍ صغيرةٍ وممتثلةٍ لِقدَرِها.

5

وهوَ عنْ نهرٍ جوفيٍّ وعَن إنقاذِ الهيميولِن لهم

أضفى سنفكين المرحَ على البعثةِ الَّتي تابعت رحلَتها. عزف على الهارمونيكا ألحانًا ما سبق لأحدٍ أنْ سمعَهَا قطُّ؛ ألحانًا من شتَّى أنحَاءِ المعمورة. استعرض أمام رفيقيه خدعًا بورقِ اللعب، وأراهما طريقةَ صنع فطائر التِّين. روى لهما حكاياتٍ كثيرةً عَنْ مغامراتِهِ العجيبةِ والرَّائعةِ. النَّهرُ أيضًا بدا أكثر حيويَّةً من السَّابق؛ كان أضيقَ ويتدفَّقُ بسرعةٍ واندفاعٍ، وما انفكَّ يدوِّم حول الحجارة المستديرة والصُّخور بين الضِّفافِ العاليةِ.

يوميًا ازدادت الجبالُ الزَّرقاءُ والقرمزيَّةُ اقترابًا، وكانت شاهقةَ الارتفاع إلى درجةِ أنَّ قممَهَا اختفَتْ في السُّحب الثَّقيلةِ المتموِّجةِ.

في صباح أحدِ الأيَّامِ جلس سنفكين مُدلِّيًا ساقيه في الماء يحفر لنفسِه صفَّارة. «أتذكَّر» استهلَّ الحديث وهو يميل برأسه جانبًا، فرفع مومين ترول وسنيف

آذانهما، «أتذكَّر الأرضَ بالينابيع الحارَّة، واليابسة المشتعلة بالحمم، ومن تحت الحِمم تتصاعد دمدمةٌ متواصلةٌ. كأنَّ الأرضَ تتقلَّب في نومها. كانت هناك صخورٌ متناثرةٌ كيفما اتفق، وكلُّ شيء لاح غريبًا وبشكلٍ غيرِ واقعيٍّ في الجوِّ المُشبعِ بالبخار السَّاخنِ. وصلْتُ إلى هناك في المساء. لم أستغرقْ وقتًا طويلًا في طهوِ عشائي. ما كان عليَّ إلَّا أنْ أملأَ القِدر من الينبوع الحارِّ. وكلُّ ما حولي ما فتِئ يفرقع ويغلي، ولم أشاهد مطلقًا أيَّ شيءٍ حيٍّ. ولا حتَّى نصْلَ حشيشٍ.»

«ألمْ تُحرقْ قدميكَ؟» سألَهُ سنيف.

«مشيتُ على مِطوالات أرجُلٍ،» أجاب سنفكين. «كانت ممتازةً للتسلُّقِ، ولا أدري ما كان يمكنني فعله من دونِها حينما استيقظَتِ الأرضُ النَّائمةُ فجأةً!

سمعتُ دمدمةً وقعقعةً رهيبتَين، ثمَّ انشقَّت حفرةٌ أمامي مباشرةً، وتجشأت نيرانًا حمراءَ وغيمةً هائلة مِن الرَّماد.»

«بركان!» شهق مومين ترول وحبس أنفاسَه.

«صحيحٌ،» قال سنفكين. «كان رهيبًا وجميلًا أيضًا. وبعد ذلك رأيتُ أرواحَ النَّار، الكثير منها، تخرجُ من باطن الأرض وتتطاير في الأجواء مثل الشَّرارات. طبعًا اضطررتُ إلى أخذ طريقٍ ملتوٍ لأتجاوزَ البركان. كان شديدَ السُّخونةِ، ولذلك مضيت بأسرع ما يمكن أن تحملَني المِطوالات. في منتصف الطَّريق نزولًا من الجبل صادفتُ جدولًا صغيرًا وانحنيت لأشربَ. لم يكن الماء يغلي في ذلك الجدول. فجأةً هبطَتْ نحو الجدول روحٌ صغيرةٌ من أرواح النَّار، وسقطَتْ في الماء. كادت تنطفِئُ، لكنَّهَا استجمعت ما يكفي من القوَّةِ لتناديني كَي أنقذَها.»

«وهل فعلْتَ؟» سأله سنيف.

«أوه، نعم. فأنا لا أملكُ شيئًا ضدَّ هذه المخلوقات،» ردَّ سنفكين. «إلَّا أنَّني في الحقيقة أُصبتُ بالحروق. حسنًا، عادت روح النَّار إلى اليابسةِ ثانيةً، وسرعان ما بدأت تتوهَّج بطريقةٍ طبيعيَّةٍ. عبَّرت لي عن امتنانها العظيم طبعًا، وأعطتني هدية قبل أنْ تطيرَ بعيدًا.»

«ما كانت تلك الهدية؟» استفسر سنيف بتشوُّقٍ بالغٍ.

«قارورةً من زيت الشَّمس من باطنِ الأرضِ،» أجاب سنفكين. «إنَّهُ الزَّيت الَّذي تفركُ به أرواح النّار أجسامَها عندما تهبط إلى قلب الأرض المتأجِّج.»

«وهل تستطيعُ اجتياز النَّار عندما تدهن جسمك بهذا الزَّيت؟» سأله سنيف وعيناه تجحظان من شدَّةِ الدَّهشةِ.

«طبعًا هذا ممكنٌ،» أجاب سنفكين.

«لكن لماذا لم تقلْ ذلك من قبل؟» صاح مومين ترول. «الآن يمكن أن ينقذَنَا هذا الزَّيت عندما يسقط علينا المُذنَّبُ، ما علينا إلَّا...»

«ما عاد لدي منه إلَّا القليلُ جدًّا،» قال سنفكين بصوتٍ حزينٍ. «استعملتُ معظمَه خلال سفرتين لي في الصَّحراء، وبعد ذلك أنقذتُ أشياءَ من بيتٍ يحترقُ. لم أعرفْ... لم يتبقَّ معي في القارورة إلَّا قطرةً صغيرةً.»

«لعلَّ ما تبقَّى يكفي حيوانًا صغيرًا! لِنَقُل بحجمي مثلًا؟» أشار سنيف.

نظر سنفكين إليه. «ربَّما،» أجاب. « إنَّما قد لا يكفي ذيلك. ما يعني أنَّه سيحترق.»

«أوه، النَّجدة!» صاح سنيف. «في هذه الحالة أفضِّل أنْ أذويَ كما أنا.»

لكن سنفكين لمْ يسمعْهُ. إذ جلس مقطِّبًا يراقبُ النَّهر، ثمَّ قال: «اسمعا، أتلاحظَانِ أيَّ شيءٍ مختلفٍ؟»

«نعم، اختلف هدير النَّهر،» أعلن سنيف.

وهذا صحيحٌ. فقد تصاعد من النَّهر هدير مخيفٌ، والماء دوَّم والتفَّ بعنفٍ بين الضِّفاف الصَّخريَّةِ.

«أنزِلا الشِّراع،» أمرهما سنفكين وهو يقصد مُقدِّمةَ العوَّامة ليراقب. كان النَّهر يندفع بقوَّةٍ أكثر من أيِّ وقت، مثل شخصٍ قضى فترةً في رحلةٍ طويلةٍ، وفجأةً لاحظ أنَّه تأخَّر في الوصول إلى البيت من أجل العشاء. تقاربتِ الضِّفَّتان، وعصرتا الماء المُزبِدَ في مُنخفضٍ ضيِّقٍ، والصُّخور ارتفعت فوقهم أعلى وأحدَّ منَ السَّابق.

«أليسَ من الأفضل أنْ نرسُوَ؟» زعقَ سنيف وسط صخبِ الماءِ.

«فات الأوان الآن،» ردَّ مومين ترول بصوتٍ عالٍ. «يجب أن نتابعَ التَّقدُّم إلى أن يصبح النَّهر أهدأ.»

لكنَّ النَّهر لم يصبح أهدأ بأيِّ حالٍ. اندفعت بهم العوَّامة بعنفٍ رهيبٍ بين الجبال المهجورة الَّتي أطبقت عليهم سفوحها من الجَانبَينِ، وشريطُ السَّماء في الأعلى غدا أضيق فأضيقَ.

من مكانٍ ما أمامهم تصاعدَتْ دمدمةٌ مُنذرَةٌ بالشُّؤمِ. «نحن ننحدر!» صاح سنفكين. «تمسَّكُوا بقوَّةٍ!»

تشبَّثُوا بالسَّارية وأغلَقُوا عيونَهم. ثُمَّ وقع اصطدامٌ، وهديرٌ وسيلٌ جارف من الماء... ثمَّ سكنَ كلُّ شيءٍ. كانُوا قد اجتازوا الشَّلال.

«ربَّاه، يا عجَبِي!» هتف مومين ترول.

سرعان ما طوَّقتهم عتمةٌ كاملةٌ تتخلَّلها بعض الرُّقع من رغوةٍ بيضاءَ مشوبة بالخضرةِ. وعندما ألِفت عيونهم الظَّلام اكتشفوا أنَّ جوانِبَ الجبل قد انغلَقَتْ عليهم انغلاقًا تامًّا. كانوا في نفَقٍ!

امتدَّ النَّفق إلى الأمام وازداد ضيقًا أكثر فأكثر؛ كان ذلك أشبه بكابوسٍ، ومع أنَّ الماء هدأ قليلًا، وجدُوا أنفسَهم مُطوَّقين بعتمةٍ مروِّعةٍ.

«ليست هذه نِيّتنا بالضَّبط،» علَّق مومين ترول. «يبدو أنَّنا نهبط مباشرة نحو قاعِ الأرضِ، عوضًا عن الصُّعود إلى قمَمِ الجِبالِ.»

أدركَ ثلاثتهم حقيقةَ ما حدثَ، وجلسوا فترةً من الوقت في صمتٍ كئيبٍ. ثمَّ قال سنفكين: «يمكن أن نؤلِّفَ قصيدةً عن هذا. ما رأيكما بـ: عائمون في هذا الماء المخيف

بعيدون جدًّا عن الطُّوب وبيوت الرِّيف

«رأيتُ حوريَّةَ بحرٍ ولم أمسكْهَا،» اقترح سنيف وهو يتمخَّط.

«لا، هذا غيرُ سليمٍ، لا وزن ولا قافية.» اعترضَ سنفكين، وأغفلُوا الموضوعَ.

تقوَّس النَّفق مرَّةً أو مرَّتين وضاق واشتدَّتْ ظلمتُه، وما بين حينٍ وآخرَ اصطدمتِ العوَّامةُ بالحيطانِ الصَّخريَّةِ. حملُوا حقائبَهم وانتظروا. من جديد وقع اصطدامٌ آخرُ، وهذه المرَّة انكسرتِ السَّاريةُ.

«سنفكين،» قال مومين ترول بصوتٍ خافتٍ جدًّا. «تعرف ما يعني هذا، أليسَ كذلك؟»

ازداد انخفاض القنطرةِ فوقهم، أو ربَّما ازداد ارتفاعُ الماء. وطبعًا لن يلبث الماءُ أن يسدَّ النَّفق بأكمله.

«اقذفِ السَّاريةَ خارجَ العوَّامةِ!» صَاحَ سنفكين، وهو يلتقِطُ رايته الغَالية. «لا فائدة مِنَ السَّاريةِ الآن.»

خيَّمت عليهم فترةٌ طويلةٌ من الانتظارِ الصَّامت مرَّةً أخرى.

بدأ المحيط من حولهم يتَّضحُ نوعًا ما، واستطاع كلٌّ واحدٍ منهم تمييز وجهَي رفيقَيه الشَّاحبين.

فجأة زعقَ سنيف: «أوه! لمست أذنَاي السَّقفَ!» وقذف نفسه أرضًا وهو يصرُّ صريرًا مسعورًا.

«ماذا ستقولُ ماما،» غمغَمَ مومين ترول، «إذا لم نعُد إلى البيت مطلقًا؟»

في تلك اللحظة توقَّفتِ العوَّامةُ مع صوت خبط، وخرُّوا متكوّمين فوق بعضهم.

«اصطدمنا بعقبةٍ،» صرخ سنيف. انحنى سنفكين فوق الحافَّةِ ونظرَ.

«السَّارية تحتجزنا،» أعلن. «إنَّها تسدُّ النَّفق!»

«انظروا ما الذي نجوْنَا منه!» قال مومين ترول بصوتٍ مهزوزٍ.

أمامهم تمامًا بقبقَ النَّهر، واختَفى نزولًا في هوَّةٍ مظلمَةٍ تقود مباشرةً إلى قاع الأرض!

«لقد نلتُ كفايتي تقريبًا منَ الرِّحلات الاستكشافيَّةِ،» أنَّ سنيف محتجًّا. «أريد العودةَ إلى البيت! أفترضُ أنَّنا سنقبعُ هنا طوال حياتِنا نلعبُ البوكر...»

«أنت مخلوقٌ صغيرٌ سخيفٌ،» قال سنفكين، «تتذمَّرُ بينما سيجري إنقاذنا بما لا يقلُّ عن معجزة. انظر إلى الأعلى هناك!»

رفع سنيف رأسَهُ ونظر، رأى عبر شقٍّ في الصَّخر فوقهم رقعةً صغيرةً منِ السَّماء المُكفهرَّة.

«حسنًا، أنا لست عصفورًا،» دمدم سنيف بكآبة، «زِد على ذلك أنا أصاب بنوباتِ غثيان؛ لأنَّني في طفولتي عانيتُ من التهابٍ في أذني، ما يعني كيف لي أنْ أصعدَ إلى هناك؟»

لكنَّ سنفكين أخرج الهارمونيكا، وعزف لحنَ أروعِ مغامرةٍ من مغامراته. (ليست بأيِّ حال مماثلة لهذه المغامرة، بيد أنَّها بديعة)، تحكي عنِ النَّجدةِ والمفاجآت الطَّيبة وأشعة الشَّمس.

وفي الحال بدأ مومين ترول يصفِّر مع اللحن. (هذا طبعًا لأنَّه لا يستطيع أن يغنِّي، ولكنَّه يصفِّر بشكلٍ جميلٍ). وفي النِّهايةِ اضطرَّ سنيف إلى الانضمام إليهما بصريره ذي الطَّبقةِ العالِيةِ. كان نوعًا ما نشازًا، كَمَا كان أيضًا مرحًا على نحو مُلائِمٍ. تردَّد صدى أصواتهم في النَّفق وصعودًا عبر الشَّقِّ الصَّخري في

السَّقف، إلى أن أيقظ هيميولن كان نائمًا في الأعلى وإلى جانبِه شبكةُ اصطيادِ الفراشاتِ.

«ما ذاك؟» شهقَ الهيميولن مجفلًا. نظرَ إلى إنائِه حيث سُجنَتِ المخلوقاتُ الصَّغيرةُ الَّتي اصطادها، وتبيَّن له أنَّ الصَّوت لم يصدر من تلك الحشراتِ.

بل جاءَ مباشرةً من باطنِ الأرضِ.

«رائعٌ!» هلّل الهيميولن وانبطَحَ ليرهفَ السَّمع. «لا بدَّ من أنَّ هناك يرقةَ فراشةٍ نادرةً وهي التي تصدر هذه الضَّجةَ. يجب أن أعثرَ عليها.»

وهكذا شرع يزحف ويتحسَّسُ الأرض ويشمُّها بأنفه الضَّخم، إلى أن وصل إلى الشَّقِّ في الأرض حيث بدا أنَّ الضَّوضاءَ هناك أعلى من أيِّ مكانٍ آخرَ. حشر أنفه بقدر ما استطاع إلَّا أنَّه لم يميِّزْ شيئًا في العتمة. من ناحيةٍ أخرى رأى الرِّفاقُ في الأسفل ظلَّه عبرَ بقعة الضَّوء، وتحوَّلت أغنيتهم إلى صراخٍ مُستميتٍ.

«لا بدَّ من أنَّ تلك اليرقاتِ قد جُنّت،» قال الهيميولن لنفسِهِ، وهو يحشر شبكته في الشَّقِّ.

بكلِّ تأكيدٍ لم يهدر مومين ترول ورفيقاه الوقت، وسارعوا إلى القفز في الشَّبكة مع حاجياتهم، وعندما رفع الهيميولن الحملَ الثَّقيلَ ونفضه دهش من رؤية ثلاثَةِ مخلوقاتٍ عجيبَةٍ تطرف عيونَها في ضوء النَّهار. «استثنائيٌّ جدًّا!» صاحَ.

«شكرًا جزيلًا،» قال مومين ترول الَّذي كان أوَّلَ من تحامل على نفسه. «أنقذْتَنَا في آخر لحظةٍ.»

«هل أنقذْتُكم فعلًا؟» استفهم الهيميولن مُتفاجئًا. «أنا لم أقصد. كنت أبحثُ عنِ اليرقات التي أصدرت هذه الضَّجةَ في الأسفل هناك.» (جماعة الهيميولن هم في الواقع بطيؤون في الاستيعاب، لكنَّهم في منتهى الدَّماثَةِ إذا لم يزعجْهم أحدٌ.) «أنحنُ في منطقة الجبال المهجورة الآن؟» سألَه سنيف.

«لا أملك أدنى فكرةٍ،» ردَّ الهيميولن، «لكن هناك الكثير من العثِّ المثير للاهتمامِ.»

«أعتقد جازمًا أنَّنا في منطقة الجبال المهجورة،» قال سنفكين وهو يحدِّقُ في أكوام الصُّخور الهائلَةِ. كانَ الهواءُ قارسًا.

«وأين المرصَدُ؟» استفهم سنيف.

«سنبحث عنه،» أجاب مومين ترول. «إنَّه على أعلى قمَّةٍ كما أظنُّ. لكن أولًا أودُّ احتسَاءَ القليل من القهوةِ.»

«ما زال إبريق الماء في العوَّامة،» قال سنفكين.

أحبَّ مومين ترول القهوة، وبالتّالي هرع فورًا إلى حافَّة الشَّق، وأحدَّ النَّظر نحو الأسفل.

«أوه يا ربِّي!» ناحَ. «لقدِ اندفَعتِ العوَّامةُ إلى الأمام، وأظنُّ أنَّها هبطت نحو تلك الهوَّةِ البغيضةِ الآنَ.»

«حسنًا، لا يهمُّ. نحن لسنا فيها،» قال سنفكين بصوتٍ مرحٍ. «ما أهميَّةُ إبريقٍ هنا أو هناك بينما أنت تبحثُ عن مُذنَّبٍ!»

«أتعتقدون أنَّه منَ النَّوع النَّادر؟» سألهم الهيميولن الذي ظنَّ أنَّ الحديث ما زال يدور عنِ العثِّ.

«أوه نعم! يجدر بي أن أقولَ إنَّه نادرٌ،» أجاب سنفكين. «فهو لا يظهر إلَّا مرَّةً تقريبًا خلال مئةِ سنة.»

«لا!» صاح الهيميولن. «في هذه الحالة يجب أنْ أصطادَ واحدًا، كيف يبدو؟»

«من المحتمل أنَّهُ أحمرُ مع ذيلٍ طويلٍ،» أجاب سنفكين.

أخرج الهيميولن دفتر ملاحظاته وكتب ذلك. «لا ريب في أنَّه من عائلة سنفسايغالونيكا،» قال بجدِّيَّةٍ. «سؤال آخرُ فقط يا أصدقائي المُثقَّفين، على ماذا يقتات هذا النَّوع الاستثنائيُّ؟»

«على الهيميولن،» ردَّ سنيف وهو يقهقهُ.

احمرَّ وجه الهيميولن. «أيُّها المخلوق الصَّغير،» قال بصرامةٍ، «هذا ليس مضحكًا. سأغادرُ الآن وأنا أحمل شكوكًا جسيمة بشأن ثقافتِكُمُ العِلميَّةِ،» ثمَّ دسَّ إناءَه في جيبِ ثوبه، التقط شبكةَ اصطيادِ الفراشاتِ، وتثاقلَ مبتعدًا.

انطوى سنيف على نفسه من شدَّةِ الضَّحك عندما أصبح الهيميولن خارج نطاق السَّمع. «كم هذا مضحكٌ!» انفجر. «ذاك الشَّاب ظنَّ أنَّنا نتحدَّث عن جنسٍ من أجناس الخنافسِ أو ما يشبهه.»

«ليس من اللائقِ أن تقلِّلَ من احترام السَّادة الأكبر سنًّا،» وبَّخه مومين ترول بقسوةٍ، غير قادر في الوقت نفسه على إبقاءِ تعابيرَ حياديَّة على وجههِ.

وبما أنَّ الدُّنيا بدأت تعتم، وقع اختيارهم على أعلى جبلٍ وانطلقوا نحوه.

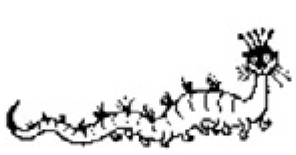

6

عنِ المُغامرَةِ معَ النّسرِ، وعَنِ الاهتِداءِ إلَى المرصدِ

كانُوا في وقت متأخِّرٍ من المساء. الجبالُ التي بعمر الزَّمن بلغ ارتفاعها عنانَ السَّماء، ورؤوسها الحالمة اختفت في الضَّباب، والضَّبابُ الباردُ بلونه الأبيضِ المائل إلى الرَّماديّ حامَ في الهوَّاتِ وما بينها من وديان. فجأةً قطعت يدٌ مجهولة في جدار صخري شديد التَّحدُّر البخارَ، كاشفةً من جديدٍ؛ عن إشارةِ المُذنَّبِ المهدِّدةِ.

أسفل إحدى القمم كان ممكنًا لمح ضوءٍ خافتٍ وحيدٍ، والتَّمعُّن فيه بيَّن أنَّه خيمةٌ حريريَّةٌ صفراءُ صغيرةٌ مضاءةٌ من الدَّاخلِ، من الخيمة تصاعدَ صوت الهارمونيكا التي تخصُّ سنفكين، لكن في هذا المكان المقفر بدا وقعُ الموسيقى غريبًا في الحقيقة. غريبًا جدًّا إلى درجة أنَّ أنثى ضبعٍ على مسافة بعيدة نوعًا ما رفعت أنفها، وعوت بأكثر طريقة سوداويَّةٍ تعرفها.

عضوٌ واحدٌ على الأقلِّ من الفريق الذي في الخيمة اجتاحه رعبٌ فظيعٌ. «ما كان ذاك؟» لهثَ سنيف.

«أوه، لا شيء يستدعي قلقك،» طمأنَه سنفكين. «اسمعَا، ما رأيكما بحكايةٍ؟ أسبقَ أنْ أخبرْتُكما عن السِّنوركيَّيْن اللذين قابلتهما قبل بضعةِ شهورٍ؟»

«لا،» قال مومين ترول بلهفةٍ. «ما يكونَانِ؟»

«ألا تعرف حقًّا ما يكون السِّنورك؟» سأله سنفكين بدهشةٍ. «لا بدَّ من أنَّهم جماعةٌ ينتمون إلى جنس عائلتك نفسه، كما يبدو لي، لأنَّهم يشبهونكَ، ما عدا أنَّ لونهم ليس أبيضَ دائمًا، إذ يمكن أن يكونوا بأيِّ لون آخر من ألوان الدُّنيا (مثل بيض الفصح)، إضافة إلى أنَّ لونَهم يتغيَّرُ عندما ينزعجون.»

لاح الغضب على مومين ترول. «حسنًا،» قال. «ما سمعت قطُّ عن ذلك الفرعِ من العائلةِ. أيُّ مومين ترول حقيقي هو أبيضُ اللون دائمًا. هه، لونُهم يتغيَّر! يا لها من فكرةٍ!»

«حسنًا، هذان السَّنوركيان اللذان التقيتُ بهما يشبهانك كثيرًا على أيِّ حال،» ردَّ سنفكين بهدوء. «لون أحدهما أخضرُ باهتٌ والآخر بنفسجيٌّ. اجتمعْتُ بهما عندما فررتُ منَ السِّجن... لكن لعلَّكما لا تريدان سماعَ تلك الحكاية؟»

«أوه نعم! نريد سماعها حقًّا،» زقزق سنيف، أمَّا مومين ترول فنخرَ فقط.

«لا بأس، هكذا جرى الأمر» بدأ سنفكين. «حدثَ أنِ التقطتُ بطيخةً من أجل العشاء. أتريان، كان هناك حقلٌ كاملٌ يعجُّ بالبطيخ، وظننْتُ أنَّ الحصول على واحدة لن يشكِّل أيَّ فرق. لكن، لحظةَ غرزت أسناني فيها، خرج رجل قبيح وكريه من البيت المجاور وبدأ يصيح عليَّ. أعرته انتباهي فترةً

قصيرةً، ثمَّ بدأتُ أتساءلُ ما إذا كان سماع العديد من الكلمات السَّيئة جيِّدًا لي. لذلك أخذت أدحرجُ البطيخة (كانت كبيرةً وثقيلةً) على طول الدَّرب أمامي، وأُصَفِّر حتَّى لا أسمع ما يقوله الرَّجل. بيد أنَّه صاح قائلًا إن الشُّرطة ستلاحقني، فأصدرتُ صوتًا ينمُّ عنِ الازدراءِ لأريه أنَّني لست خائفًا منَ الشُّرطة أبدًا.»

«كيف واتتك الجرأة؟» همس سنيف بإعجابٍ بالغٍ.

«لا أدري حقًّا كيف،» قال سنفكين. «لكن عليكما أن تستَمِعا. كان ذاك الرَّجل شرطيًّا! وبعد أن اندفع إلى بيته ليرتدي زيَّه الرَّسميَ، بدأ يلاحقني. ركضتُ

وركضتُ والبطيخة تدحرجَت وتدحرجَت، إلى أن أصبحنا في النِّهاية نمضي بسرعةِ البرق بحيث ما عدت أميِّزُ بين البطيخة وبين نفسي.»

«أأفترض أنَّكَ هكذا انتهيتَ في السِّجن؟» قال مومين ترول. «أفترض أنَّك هناك قابلت تلك المخلوقات - أعني جماعة السِّنورك. ألم تُسمِّهم هكذا؟»

«لا تُقاطعْنِي!» نهره سنفكين. «كنت سأحكي لكما كم كانت زنزانتي باردةً وفظيعةً، ناهيك عن العناكبِ والجرذانِ. قابلت السِّنوركييْن في الخارج بعد أنْ فررتُ منَ السِّجن في ليلةٍ ظلماء غيرِ مقمرةٍ.»

«أتراكَ تسلَّقتَ خارج النَّافذة بحبلٍ صنعته من الملاءات؟» استفسر سنيف.

«لا، حفرتُ لنفسي خندقًا بفتَّاحة علب،» ردَّ سنفكين. «خرجت مرَّتين في وقتٍ غيرِ مناسبٍ. في المرَّةِ الأولى خرجت وراء الحارس تمامًا، وفي الثَّانية وجدت نفسي داخل حيطان السِّجن. فعدتُ أدراجي وشرعت أحفر من جديد، في المرَّةِ الثَّالثة صعدت إلى حقلٍ. يؤسفني أن أقولَ إِنَّهُ كان حقلَ ملفوفٍ وليس حقلَ بطيخٍ. ورأيت السّنورك وأخته يصطادان سمكَ المنوة بذيليهما في جدولٍ مجاورٍ.»

«لا يمكن أبدًا أنْ أفكِّرَ في صيدِ أيِّ شيءٍ بذيلي،» قال مومين ترول. «على المرء أنْ يحترمَ ذيلَه. ماذا فعلت عندئذٍ؟»

«أوه، احتفلنا بهروبي بنبيذِ زهر الحقل، وسمك المنوة على مدى ساعات،» أجاب سنفكين. «كم كانت جميلة الآنسة سنورك ذات اللون الأخضر الباهت! عيناها زرقاوان لامعتان، ويغطيها وبرٌ ناعمٌ جميلٌ. يمكنها أن تنسجَ حُصرًا من

العشب، وتخمِّر مشروباتٍ عشبية مسكِّنةٍ إذا أصابك وجع في بطنك. تضع دائمًا زهرةً خلف أذنها، وحول كاحلها ثمَّة حلقة ذهبيَّة صغيرة.»

«أفٍّ! النِّساء!» استهزأ مومين ترول. «هذه حكاية عفنةٌ. ألَمْ يحدث أيُّ شيءٍ مثيرٍ؟»

«أليس في هروبي من السِّجن ما يكفي منَ الإثارةِ؟» تساءَلَ سنفكين، والتفتَ يتابع العزف على الهارمونيكا. نخرَ مومين ترول مرَّةً أخرى، ثمَّ زحف إلى كيس نومه، وأدار أنفَه نحو الجدارِ.

في تلك الليلة رأى في الحلم آنسة سنورك منمنمةً وتبدو شبيهةً به، وقدَّم لها وردة لتضعها خلف أذنها.

في الصَّباح قعد يتمتم لنفسه: «يا للسَّخافة!»

كان رفيقاه قد شرعا في حزم الخيمة، وأعلن سنفكين أنَّهم سيصلون إلى القمَّة الأعلى في ذلك اليوم.

«وكيف تعرِفُ أنَّ المرصد على تلك القمَّة بحدِّ ذاتِها؟» سأله سنيف وهو يشرَئِبُّ بعنقه تُجاهها، لكنَّه فعل ذلك عبثًا لأنَّ السُّحب حجبتها.

«حسنًا،» قال سنفكين، «ما عليك إلَّا أن تتفحَّص الأرض هنا. إنَّها مغطاةٌ بأعقاب السَّجائر التي بلا ريب ألقاها أولئك العلماءُ ذوو الذِّهن الشَّارد في الأعلى هناك.»

«أوه، فهمت،» همهم سنيف الَّذي اعتراه شيءٌ من الخِزيِ، متمنِّيًا لو أنَّه لاحظَ تلك الأعقابَ بنفسِهِ.

بدأوا يشقُّون طريقهم إلى الأعلى عبر دربٍ صغيرٍ ملتوٍ، وثمَّةَ حبل يربطهم معًا تحسُّبًا لما قد يطرأ.

«لا تنسيا أنَّني حذَّرتكما،» صاح سنيف الذي كان آخرَ من يتسلَّقُ صعودًا. لا تلومَاني إذا حدثَ لنا شيءٌ مخيفٌ.»

أعلى فأعلَى صعدُوا، والدَّربُ بات أكثرَ فأكثرَ حدَّةً.

«بوفف!» غمْغمَ مومين ترول وهوَ يجفِّفُ جبينَهُ.

«قالَتْ ماما إنَّ الجوَّ باردٌ هنا. الحمد لله أنَّ تلكَ التَّماسيحَ التهمَت بنطلوني الصُّوفيِّ!»

توقَّفُوا ونظرُوا إلى الوادي في الأسفل، يتملَّكُهم الشُّعورُ بأنَّهم صغارٌ جدًّا، ووحيدونَ وسطَ تلكَ التِّلالِ المُقفرةِ والشَّاسعةِ. الشَّيءُ الوحيدُ الحيُّ الَّذي أمكن رؤيتَهُ كانَ نسرًا بعيدًا يحومُ بجناحينِ مفرودينِ.

«يا له من طائرٍ هائلٍ!» صاحَ سنيف. «أشعرُ بأسفٍ شديدٍ عليه؛ لأنَّهُ بمفرده في هذا المكان.»

«أتوقَّع أنَّ هناك في مكان ما السَّيدةَ نسر، وعلى الأرجح هناك نسورٌ صغار أيضًا،» علَّقَ سنفكين.

ما لبث الطَّائرُ أنِ اقتربَ منهم، وأخذَ يحومُ فوقهم، وهو يتلفَّتُ من جانبٍ إلى جانبٍ برأسِه ذي العينين الباردتين، والمنقارِ المعقوفِ الحادِّ. ثمَّ فجأةً، وازنَ جسمَه بجناحيهِ المفرودَينِ المرفرفَينِ.

«أتساءلُ ما الذي يضمرُه الآن!» قال سنيف.

«لا يعجبني منظرُهُ،» قال مومين ترول بقلقٍ.

«لعلَّه...» بدأ سنفكين، ولم يتسنَّ له أنْ يتابعَ بل ندَّت عنه صرخةٌ وقال بصوتٍ مسعورٍ: «احذرَا - إنَّه يُغيرُ علينا!» وسارعُوا كلُّهم إلى الارتماء على الصُّخورِ بجنونٍ بحثًا عن بقعةٍ للاختباءِ.

بجناحين مُندفعين انقضَّ النِّسر عليهم، بينما حشرُوا أجسامهم في فلعٍ صخريٍّ، وتمسَّكُوا ببعضهم فَزعينَ بِلا حولٍ ولا قوَّةٍ. كان فوقَهم!

بدا ذلك أشبهَ بزوبعةٍ. في لحظةٍ طوَّقهم جناحان هائلان راحَا يضربان الصَّخر بعنفٍ، وفي لحظةٍ تاليةٍ سَادَ سكونٌ شامِلٌ. بأوصالٍ مرتعشَةٍ تلصَّصُوا خارجَ مخبَإِهم، لِيشاهِدوا النَّسر وهُو يبحِرُ محوِّمًا عَلَى شَكلِ أنصافِ دوائرَ أسفلَ منهم. بعد برهةٍ حلَّق عاليًا، واختفى بين قممِ الجبال.

«هو يشعرُ بالخزِي لأنَّه أخطأَنَا،» قال سنفكين. «النُّسور مُعتدَّةٌ بنفسها كثيرًا. ولن يحاول ثانية.»

التفت سنيف يحسب على أصابعه. «التَّماسيحُ، السِّحليةُ العملاقةُ، الشَّلَّالُ، النَّفق النَّهريُّ، النَّسر. خمسُ تجاربَ رهيبةٌ. بدأ هذا يصبحُ رتيبًا!»

«ما زالتِ المغامرةُ الأعظمُ بانتظارنا،» قال مومين ترول. «المُذنَّبُ.» رفعُوا رؤوسَهم وعايَنُوا السُّحبَ الثَّقيلةَ الدَّاكنةَ.

«ليتَنَا نرى السَّماءَ،» أردفَ بنبرةٍ عصبيَّةٍ. «هيَّا. علينا أنْ نتابعَ الصُّعود!»

✽ ✽ ✽

مع حلول العصر كانوا قد قطعوا شوطًا كبيرًا في الصُّعود بحيث وصلُوا إلى نُدفِ الغيوم. أصبح التَّسلُّق زلِقًا وخطرًا؛ دوَّمت من حولهم غلالات رطبةٌ، ولفحهم بردٌ قارسٌ (فكَّر مومين ترول في بنطلونه الصُّوفي بشوقٍ) وأحاط بهم فراغٌ عائمٌ مخيفٌ.

«لطالما تراءى لي أنَّ المرءَ سيجد الغيوم ناعمةً وصوفيَّةً ولطيفَةً إذا كان فيها،» قال سنيف وهو يعطس. «أفٍّ، بدأَ الأسف ينتابني لأنَّني جئتُ في هذه البعثةِ الاستكشافيَّةِ.»

فجأةً تسمَّر مومين ترول في أرضِهِ.

«انتظرَا!» هتفَ. «هناك شيءٌ يلمعُ. ضوءٌ... أم تراه ألماسَة...»

«ألماسَة!» صاح سنيف الذي تستهويه المجوهراتُ.

انطلق مومين ترول، وهو يسحبُ رفيقَيه خلفَهُ بالحبل. «إنَّهُ سوارٌ ذهبيٌّ صغيرٌ،» أعلن أخيرًا.

«انتبِهْ!» حذَّره سنفكين. «إنَّه عند شفيرِ المُنحدر تمامًا!»

لكنَّ مومين ترول لم يُلقِ له بالًا. زحف ببطء نحو الحافة، وتمطَّطَ ليصلَ إلى السِّوار. قبض سنفكين وسنيف على الحبلِ بقوَّةٍ، بينما زحفَ مومين ترول مسافةً أبعد إلى أنْ وصل في النِّهاية إلى الحلقةِ الذَّهبيَّةِ.

«أتظنُّ أنَّه قد يخصُّ الآنسة سنورك؟» استفهمَ.

«نعم. إنَّه لها،» أجاب سنفكين وهو يتنهَّدُ. «يبدو كما لو أنَّها هوت مِنَ الحافَّةِ. كانت فتيَّةً وجميلةً جدًّا أيضًا.»

غلب على مومين ترول شعورٌ بالقهرِ أعجزه عن قول شيء. ثمَّ ما لبثوا أنْ تابَعوا طريقهم والحزن يكتنفُهم.

بدأَتِ السُّحب تخفُّ، وأصبح الجوُّ أكثر دفئًا. توقَّفُوا عند نتوءٍ صخريٍّ ليرتاحُوا وحملقُوا بصمتٍ في البخارِ الرَّماديِّ المنتشرِ في كافَّةِ الأنحاء. فجأةً تشتَّت البخارُ، وانقشعَ عنهم إلى أن استطاعَ المسافرون الثَّلاثُ المُنهكونَ أن يرَوا أين هم، وما شاهدوه أذهلَهم! كان هناك بحرٌ من الغيوم تحتَ أقدامِهم، غيومٌ بدت في منتَهى الطَّراوةِ والجَمال إلى درجةِ أنَّهم رغبُوا في خوضِها، والغوصِ فيها والرَّقصِ بينها.

«نحن الآن فوقَ الغيوم،» قال سنفكين بصوتٍ جدِّيٍّ، فتلفَّتُوا لينظرُوا إلى السَّماء التي بقيت مختفيةً عن عيونهم مدَّةً طويلةً.

«انظرَا!» همس سنيف بفزعٍ. فالسَّماء الزَّرقاء ما عادت زرقاء، بل بدت مصطبغة بلونٍ أحمرَ باهتٍ!

«لعلَّه وقتُ الغروب،» علَّق سنفكين بنبرةِ شكٍّ. أمَّا مومين ترول فلاحَ في منتهى الاتِّزان وهو يقول: «لا، إنَّه المُذنَّبُ هذه المرَّة. وهو في طريقِه إلى الأرض.»

في الأعلى عند ذروةِ القمَّةِ المتعرِّجةِ انتصبَ المرصدُ. وفيه علماءُ يعيشون وحدَهم معَ النُّجومِ والكواكبِ، يدوِّنون آلاف الملاحظات المميَّزةِ، ويدخِّنون آلافَ السَّجائر.

شقَّ الرِّفاق طريقهم صعودًا نحوه بصمت، ثمَّ فتح مومين ترول البابَ. رأوا درَجًا في الدَّاخل، ولما ارتقوه وجدوا أنفسهم أمام عتبةِ قاعةٍ عاليةِ العمادِ، ذات سقفٍ زجاجيٍّ. في وسطِهَا منظارٌ عملاقٌ يدورُ ببطءٍ يراقبُ السَّماء، إضافةً إلى صوتِ طنينٍ متواصلٍ منبعثٍ من آلةٍ. وثمَّةَ عالمان في القاعة يهرولان بنشاطٍ هنا وهناك، يُحكمان شدَّ البراغي، يدفعان المقابض ويدوِّنان الملاحظاتِ.

ندَّت عن مومين ترول كحَّةٌ كدلالةٍ على الاحترام. «مساءُ الخير!» قال. بيدَ أنَّ العالمَيْن لم يعيراه الانتباه.

«جوٌّ لطيفٌ!» تابع مومين ترول بصوتٍ أعلى قليلًا. ولم يتلقَّ أيَّ جوابٍ. فتقدَّم ولمس ذراعَ أحدِ العالِمَيْن بحياءٍ.

«قطعْنَا عدَّة مئاتٍ من الأميال يا سيدي كي نقابلَكَ،» قال.

«ماذا! أنتَ ثانيةً!» صاح العالِم.

«معذرةً،» قال مومين ترول. «أنا لم يسبقْ لِي قطُّ أنْ كنْتُ هنا.»

«إذًا، كانا مخلوقَين يشبهانِكَ بطريقةٍ استثنائيَّةٍ،» غمغَمَ العالِمُ. «حشودٌ من النَّاس تأتي إلى هنا... ولا وقت لدينا كما ترى، لا وقت لدينا ببساطة. هذا المُذنَّبُ هو أكثر ما يثير الاهتمام على مدى السَّنواتِ الثَّلاثةِ والتِّسعين الأخيرة. والآن، ماذا تريد؟ وأفصِح عمّا لديك بسرعةٍ!»

«أنا فقط... أ... أريد أنْ أعرفَ... أ...الأشخاصَ الَّذين كانوا هنا سابقًا،» تلعثم مومين ترول. «أفترضُ أنْ ليس بينهم آنسةُ سنورك صغيرة ذاتُ لونٍ أخضرَ باهتٍ... بفراءٍ ناعمٍ... وربَّما لديها زهرةٌ وراءَ أذنِها...»

«شرحُكَ غيرُ علميٍّ على الإطلاق،» قال العالِم بنفادِ صبرٍ. «لا أعرف شيئًا عن هذا، ما عدا أنَّهُ كان هناك أنثى مُتْعِبةٌ أزعجتني بسؤَالِها عن حِليةٍ ما فقدتْهَا. هيَّا انتهيْتُ منك الآن! لقد هدرْتَ أربعًا وأربعين ثانيةً من وقتي!»

انسحب مومين ترول بعصبيَّةٍ.

«حسنًا؟» بادرَهُ سنيف. «أهو قادمٌ؟»

«متَى يسقط؟» سأله سنفكين.

«أوه! نسيتُ تمامًا أنْ أسألَ،» غمغم مومين ترول، وهو يحمرُّ خجلًا. «لكنَّ الآنسة سنورك الصَّغيرة تلك كانت هنا. هي على قيدِ الحياة. لم تسقطْ من المنحدرِ!»

«إيه! إيه! هذا ما يمكنني قولُه فقط!» انفجرَ سنفكين ضاحكًا.

«أنا عاجزٌ عن فهمِكَ،» قال سنيف. «ظننتُ أنَّك لا تحبُّ الفتيات. سأذهب أنا وأسألُ.» ومضى خببًا إلى العالِم الآخر. «أيمكن أن ألقي نظرة مِن خلال منظارِك لو سمحت؟» سألَ بأدبٍ. «أنا مهتمٌّ كثيرًا بالمُذنَّباتِ، وسمعْتُ الكثير والكثير عن اكتشافاتِكُم الرَّائعة هنا.»

تأثَّر العالِم أَيّما تأثَّر بالإطراء، ورفع نظارته فوق جبينِهِ. «أحقًّا؟» قال. «في هذه الحالة ينبغي أن تتقدَّمَ وتلقي نظرةً يا صديقي الصَّغير.»

ضبط وضعيةَ المنظار لسنيف، وطلبَ منه أن يمضيَ في مهمَّتهِ. أصيب سنيف بشيءٍ من الخوفِ في البداية. كانتِ السَّماءُ سوداءَ والنُّجومُ الكبيرةُ ومضَت كمَا لو أنَّها تنبض بالحياة، وبعيدًا في المدى لمعَ شيءٌ أحمرُ، مثل عينٍ شريرةٍ.

«أذاك هو المُذنَّب؟» همس.

«نعم،» أجابَ العالِم.

«لكنَّه لا يتحرَّك مطلقًا،» قال سنيف بصوتٍ مُرتبكٍ. «ولا أرى له أيَّ ذيلٍ أيضًا.»

«ذيلُهُ خلفَهُ،» وضَّح العالِم. «وهو يندفع مباشرةً نحو الأرض، ولذلك لا يبدو كما لو أنَّه يتحرَّك. لكن في وسعك أنْ ترى أنَّ حجمَهُ يزدادُ يوميًّا.»

«متى يصلُ؟» استفهمَ سنيف وهو يحدِّقُ بفضولٍ مأخوذًا بالشَّرارةِ الحمراءِ الصَّغيرة عبر المنظارِ.

«وفقًا لحساباتي يجب أنْ يضربَ الأرض في السَّابع من شهر تشرين الأوَّل السَّاعة 8.42 مساءً، أو ربَّما بعد أربعِ ثوانٍ،» قالَ العالِم.

«وماذا سيحدث عند ذاك؟» سألَه سنيف.

«ماذا سيحدث؟» كرَّر العالِم متفاجئًا. «حسنًا، لم أفكِّرْ في هذا. لكن تأكَّد من أنَّني سأدوِّن ملاحظاتي عنِ الأحداثِ بمنتهى التَّفصيلِ.»

«أيمكن أن تخبرَني يا سيِّدي ما تاريخُ اليوم؟» قال سنيف

«نحن في الثَّالث من شهرِ تشرين الأوّل،» أجابَ الأستاذُ. «والوقت الآن 6.28 بالضَّبط.»

«أعتقدُ أنَّه يجب علينا أن نرحلَ فورًا،» قال سنيف. «أشكرُكَ شكرًا جزيلًا جدًّا على مساعدَتِكَ.»

عاد إلى رفيقيه وثمَّةَ تعبيرٌ بالأهميَّةِ يكسو وجهَهُ. «أجريت محادثةً مثيرةً جدًّا مع العالِم،» قال، «وتوصَّلنا إلى استنتاجٍ مفادُه أنَّ المُذنَّبَ سيضربُ الأرضَ في السَّابع من شهر تشرين الأوَّل السَّاعة 8.42 مساءً، أو ربَّما بعد أربعِ ثوانٍ.»

«يجب إذًا أن نعودَ بأسرعِ ما يمكن إلى البيت،» قال مومين ترول بصوتٍ قلقٍ. «فقط لو وصلْنَا إلى ماما قبل سقوط المُذنَّب نكون بمأمنٍ. فهي ستعرفُ ما العمل.»

غادرُوا المرصدَ، وباشرُوا رحلةَ العودَةِ الطَّويلةِ إلى البيت. بدأتِ الدُّنيا تعتِّمُ والضَّوءُ الأحمرُ الرَّهيب في السَّماء لاحَ بشكلٍ أَقوى. تبدَّدتِ الغيوم، وبعيدًا في أسفلِ الوادي تحتَهم لم يميِّزُوا مِنَ النَّهرِ إلَّا شَريطًا ضَيِّقًا ورقعًا صغيرةً من الغابةِ.

«أتوق إلى الابتعادِ عن هذه الأرضِ الصَّخريَّةِ،» قال سنفكين. «إذ حتَّى الشَّاعر يمكن أن يضيق ذرعًا أحيانًا.»

«أتساءل أين قضى السَّنوركيَّان ليلتهمَا،» تمتمَ مومين ترول. «يجب أنْ أعيدَ لتلك البنتِ المسكينةِ سوارَ كاحلِهَا.» وبالتَّالي حثَّ الخُطى بسرعةٍ كبيرةٍ

بحيثُ وجدَ رفيقَاه صعوبةً في مجاراتِهِ.

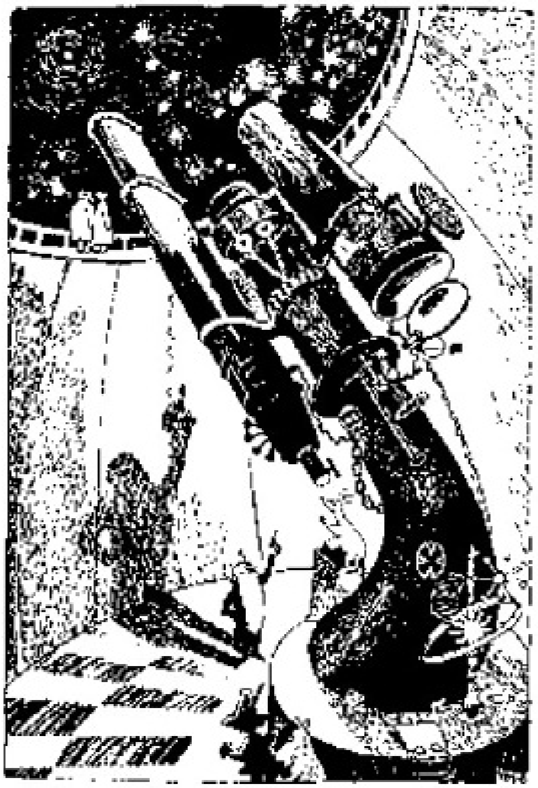

7

عَن إنقاذِ مومين ترول الآنسةَ سنوركِ من شجرةٍ سامَّةٍ، وأيضًا عن ظهورِ المُذنَّبِ بوضوحٍ في السَّماءِ

أشرقَ صباحُ الرَّابعِ من شهرِ تشرين الأوَّل صافيًا، لكنَّ سديمًا غريبًا حطَّ على الشَّمسِ وَهي ترتَفِعُ ببطءٍ فوقَ قمم الجبال، وتُبْحرُ عبرَ السَّماءِ الحمراءِ. لم ينصبُوا الخيمةَ في الليل، بل تابعُوا التَّقدُّمَ طوالَ الوقت.

عانى سنيف من تقرُّحٍ في إحدى قدميه، وما انفكَّ يتذمَّرُ.

«لا بأس، امشِ على قدمِكَ الثَّانية،» نصحه سنفكين، إلَّا أنَّها لم تكن نصيحةً مفيدةً كثيرًا، وفي نهاية المطاف ما عاد سنيف قادرًا على التَّحمُّلِ أكثر مما فعَلَ.

آآآه!» أنَّ. «أشعرُ الآن بالدُّوارِ.» وسرعان ما استلقى أرضًا رافضًا المُضيَّ قُدمًا.

«نحن مستعجلون،» قال مومين ترول. «يجب أن أجدَ الآنسة سنورك الصَّغيرة تلك بأسرع ما...»

«أعرف، أعرف،» قاطعه سنيف. «آنستك السَّنورك البائسة. لكن لا شأنَ لي بهذا. أنا متوعِّكٌ وأظنُّ أنِّي سأمرضُ.»

«أَلَا يمكن أن ننتظرَ قليلًا؟» قال سنفكين. «أعرف شيئًا نستطيعُ القيام به في هذه الأثناء. أسبقَ لك أن دحرجْتَ الأحجار؟»

«لا،» أجابَ مومين ترول.

عثرَ سنفكين في البداية على كومة صخورٍ كبيرةٍ. «تأخذُ صخرةً،» قال. «مثلَ هذهِ. وتدحرجُهَا من حافَّةِ المنحدر بقدرِ ما تملك من قوَّةٍ... هكذا، فتندَفعُ إلى الأسفلِ،» ثمَّ نفخَ وأردفَ. «نعم هكذا!»

نظرَا معًا منَ الحافَّةِ وراقبَا الصَّخرةَ تهوي. تهشَّمت في طريقها، وحملت معها وابلًا مِنَ الحجارةِ الصَّغيرةِ، ولمدَّةٍ طويلةٍ تردَّد صدى القرقعة بينَ الجبالِ.

«هذا مُسلٍّ جدًّا!» صاح مومين ترول ضاحكًا. «لندحرجْ واحدةً أخرى!» وهكذا دحرجَا صخرةً ثانيةً عظيمةً مِنَ الحافَّةِ حيث تهاوَت وحطَّت مُزعزعةً.

«اسحب...يلا!» صاح سنفكين. «اسحب و... ادفعْ!»

هدرت الصَّخرة في اندفاعها، لكن، أوه، يا للهول، لم يتسنَّ لمومين ترول الوقت ليتراجعَ إلى الوراء، وقبل أن يدركَ أحدٌ ما يجري كان على شفير الوادي، وراحَ ينزلق بسرعةٍ فائقة في أعقاب الصَّخرة.

كان هناك احتمالٌ عظيمٌ في أنَّ العالَم سينقص منه فردٌ من جماعة المومين لولا الحبلُ المعقودُ حولَ وسطِهِ. ارتمى سنفكين أرضًا وهيَّأَ نفسَه لاستقبال

الصَّدمة. كانت صدمةً رهيبةً، شعرَ سنفكين كما لو أنَّه سينقطعُ نصفَين.

تأرجحَ مومين ترول عند نهاية الحبل، وكان ثقيلًا.

سُحِب سنفكين نحو الحافَّة ببطء أقرب فأقرب. ووراءَه أيضًا شُدَّ الحبل بقوَّةٍ، الحبل المربوط حول سنيف الذي سرعان ما جُرَّ إلى الأمام هو أيضًا. «كفى!» صاح. اتركاني بحالي أنا مريضٌ!»

«ستصبحُ حالكَ أسوأ خلال دقيقة إنْ لم تُحكِم التَّشبُّثَ بذلك الحبل،» ردَّ سنفكين.

ثمَّ جأرَ صوتُ مومين ترول من الأسفل: «النَّجدة! ارفعوني!»

أخيرًا أدرك سنيف ما يحدث، واعتراه خوفٌ رهيبٌ بحيث نسي أنَّه مريض. بدأ يجاهد بطريقةٍ مسعورةٍ مع الحبل المشدودِ الذي تشابك حوله وحول كلِّ شيءٍ آخر هناك على مرأى البصر، وفي النِّهاية ثبتَ في مكانه ما أتاح الفرصة لسنفكين كي يزحف بعيدًا عنِ الحافَّةِ.

«عندما أقول الآن... اسحبْ،» أخبرَ سنيف. «ليس الآن... وليس الآن... حسنًا الآن!» وسحبا معًا بكل ما أوتيا من قوَّةٍ، إلى أن بدأ مومين ترول يظهر على مقربة من الحافَّةِ. ظهرتَ أذناه أولًا، ثمَّ عيناه، ثمَّ ظَهرَ أنفُهُ (ثمَّ المزيد من أنفِه) وفي النِّهاية ظهر كلُّه.

«آه يا إلهي!» هتف. «ما ظننتُ مطلقًا أنِّي سأراكما ثانيةً.»

«وما كنْتَ لتفعلَ لولاي،» أشار سنيف الرَّاضي عن نفسِهِ. ألقى عليه سنفكين نظرةَ استهجانٍ، ولم يقلْ شيئًا، وهكذا جلسُوا ليستعيدوا رباطةَ جأشِهم.

«تصرَّفنا بغباءٍ،» قال مومين ترول فجأةً.

«أنت تصرَّفتَ بغباءٍ،» واجهه سنيف.

«كنَّا مُجرمين بالتَّأكيد،» تابع مومين ترول، غير ملقٍ بالًا لملاحظةِ سنيف. «فنحن ببساطةٍ لربَّما دحرجنا إحدى هذه الصُّخور على الآنسة سنورك اللطيفة.»

«لو فعلتَ لباتَت الآن هامدةً مستويةً مَعَ الأرض،» علَّق سنيف غير متأثِّرٍ بتاتًا.

اعترى مومين ترول قلقٌ رهيبٌ. «طيِّبٌ، على أيِّ حال، يجب أن نتابعَ طريقنا الآن،» قالَ بنبرةٍ محبَطَةٍ. «ليس من الجيِّدِ نسيانُ المُذنَّبِ.»

وهكذا تابعُوا مسيرتهم نزولًا نحو سفحِ الجبلِ بوتيرة مستمرَّةٍ، والشَّمسُ الشَّاحبة تشرق فوقَهم، عبْرَ السَّماءِ الحمراءِ الباهتةِ. عند سفح الجبلِ رَأوا جدولًا ضحلًا رمليَ القاعِ بين الحجارة، وهناك جلسَ الهيميولن وقدمَاهُ المُتعبتان في الماء، يتنهَّدُ بينه وبين نفسه. إلى جانبِه كتابٌ ضخمٌ عنوانُه «عثُّ النِّصف الشَّرقي منَ الكرةِ الأرضيَّةِ. سلوك تلك الحشرات وسوءُ تصرُّفاتها».

«استثنائيٌّ!» تمتم لنفسِه. «ولا واحدة منها بذيلٍ أحمرٍ. كان يمكن أن تكون ديديروفورميا أركيمبولدي، إلَّا أنَّ هذا النَّوعَ شائعٌ جدًّا ولا ذيلَ له مطلقًا.» وتنهَّد ثانيةً.

بمجرَّد أنْ ظهر مومين ترول وسنفكين وسنيف من وراءِ صخرةٍ قالوا، «مرحبًا!»

«أوه! أفزعتُمونِي كثيرًا!» شهقَ الهيميولن. «هذا ليس إلَّا أنتم الثَّلاثة مجدَّدًا. ظننتُ أنَّ هناك انهيارًا آخر. ما حدث في الصَّباح كان فظيعًا.»

«وما ذاك؟» سألَه سنيف.

«الانهيارُ الصَّخري طبعًا،» أجاب الهيميولن. «فظيعٌ جدًّا! صخورٌ بحجمِ البيوت تتساقط مثل وابل البَرَد! أفضلُ إناءٍ زجاجيٍّ لديَّ تكسَّر، وأنا بنفسي اضطررتُ إلى التَّحرُّكِ بسرعةٍ فائقة لأتفادَاها.»

«أخشى أنَّنا أسقطنا بعض الحجارة ونحن نمرُّ،» قال سنفكين. «يحدثُ ذلك بسهولة كبيرةٍ والمرءُ يطأُ هذه المسالك.»

«أتقصِدُ أنْ تقولَ إنَّكم من سبَّب الانهيارَ الصَّخريَّ؟» استفسر الهيميولن.

«حسنًا - نعم - نوعًا ما،» أجاب سنفكين.

«أنا لم أُكَوِّن رأيًا جيّدًا عنكم،» قال الهيميولن ببطء، «والآن بات رأيي فيكم أسوأ. في الحقيقة لا أعتقد أنَّني أريدُ التَّعاملَ معكم.» وأشاحَ وجهه بعيدًا عنهم ورشَّ بعض الماء على قدميه المُتعبَتين. حارَ سنفكين ورفيقاه في ما يمكنهم قولُه، فلجأوا إلى الصَّمتِ. بعد فترةٍ نظرَ الهيميولن من فوق كتفِهِ وقال: «ألم ترحلُوا بعدُ؟»

«نحنُ ذاهبون،» قال مومين ترول. «لكنْ أوَّلًا أشعرُ أنَّ واجبي يحتِّمُ عليَّ أنْ أسألَكَ: أمَا لاحظْتَ شيئًا غريبًا بخصوصِ لونِ السَّماءِ؟»

«لونُ السَّماء؟» استفسر الهيميولن ببراءَةٍ.

«نعم،» أجاب مومين ترول، «هذا ما قلْتُهُ.»

«لماذا يجب أنْ أفعلَ؟» قال الهيميولن. «بقدر ما يهمُّني الأمر ليكن لونُها ما يكون. أنا نادرًا ما أنظرُ نحوها. ما يزعجني هو أنَّ جدوَلِي الجبلِيَّ الجميلَ كاد يجفُّ. إذا جرت الحال على هذا المنوال مدَّةً أطول لن يصبح في وسعي أن أُرطِّبَ قدميَّ بالماء.»

ومن جديد أشاح بوجهه عنهم، وهو يتمتِمُ ويزمجِرُ بينه وبين نفسه.

«هيَّا،» قال مومين ترول. «أرى أنَّه يفضِّل البقاءَ وحدَه.»

❀ ❀ ❀

بدأتِ الأرضُ تصبِحُ أكثرَ ليونةً تحتَ أقدامِهم. كانَتْ تعجُّ بالأُشْنَة والطَّحالب، وبضع زهورٍ خجولةٍ انبثقَتْ هنا وهناك، أمَّا في الأسفلِ فبدا بساطُ الغابةِ الدَّاكنِ قريبًا منهم.

«سنمضي مباشرةً نحو واديكَ المُزهرِ ذاك،» قال سنفكين، «إذْ يجب أن نصلَ إلى هناك قبل سقوطِ المُذنَّبِ.»

نظرَ مومين ترول إلى بوصلتِه. «أعتقدُ أنَّ في هذا الشَّيء خطأٌ ما،» أعلن، «فالعقارب ترقصُ مثل ذبابةٍ تحومُ فوقَ الماء.»

«لا ريبَ في أنَّ المُذنَّبَ هو السَّبب،» قالَ سنيف.

«علينا أنْ نتتبَّعَ الشَّمسَ،» اقترح سنفكين، «مع أنَّها لا تبدو مفيدةً كثيرًا الآن.»

على مسافةٍ صغيرةٍ أبعدَ نزولًا صادفُوا بحيرةً جبليَّةً صغيرةً، بدت غائرةً جدًّا في حوضها الصَّخريِّ ذي الأطراف المسنَّنة الحادَّة، والتي حالت دونَ أن ينزِلُوا فيها ويسبحُوا. على بعد بضعة أقدام من مستوى الماء كانت هناك حافةٌ مُكلَّلةٌ بالأعشاب المائيَّةِ والنَّباتاتِ الشَّوكية التي ما زالت رطبةً.

«عجيبٌ،» قال سنفكين بجبينٍ مقطَّبٍ، «الماءُ يغور على نحوٍ سريعٍ جدًّا.»

«لا بدَّ من أنَّ هناك فتحةً في القاع،» قال سنيف، «تجعلُ الماء يتسرَّب وينضبُ.»

«وجدول الهيميولن نضبَ أيضًا،» أشارَ مومين ترول.

عاين سنيف قنينة الليموناضة بنظرةٍ قلقةٍ، وتنفَّس الصُّعداء لمَّا تبيَّنَ أنَّها ما زالت تحتوي على الكميَّة السَّابقةِ نفسِها. «أنا لستُ قادرًا على استيعاب هذا،» قال.

«لا يهمُّ، يا سنيف،» لاطفه مومين ترول. «ربَّما من الأفضل ألَّا تستوعبَ. هيَّا تعال الآن!»

في تلك اللحظة سمعُوا صرخةَ استغاثةٍ.

جاء الصَّوت من الغابة أمامهم، فانطلقوا بأقصى سرعةٍ للنَّجدةِ.

«حسنًا!» صاح سنفكين. «نحن قادمون!»

«ليس بهذه السُّرعة!» لهث سنيف. ثمَّ «آخ!» إذ خرَّ على وجهه، والحبل الذي ما زال يربطهم معًا سحبه إلى الأمام على أنفه. بيدَ أنَّ رفيقيه لم يتوقَّفا إلَّا بعدَ أن اصطدما أنفًا بأنفٍ عند طرفَي شجرةٍ، والحبلُ عالق حولَ جذعِهَا.

«تبًّا، حبلٌ لعينٌ!» صاح مومين ترول بغضبٍ.

صُدِم سنيف. «أوه!» شهقَ. «لقد تفوَّهْت بشتيمةٍ!»

تجاهله مومين ترول، وبينما انبرَى يقطع الحبل بسكِّينهِ، غمْغَمَ بكلامٍ ما عن أنَّ الآنسةِ سنورك هي التي تستنجِدُ. ولحظةَ تحرَّرَ من الحبل هبَّ للنجدةِ بسرعةِ البرقِ بقدر ما حملته ساقاه القصيرتان.

في الدَّقيقة التَّالية أقبل السّنورك نحوهم لاهثًا، لونه أخضرُ من شدَّة الفزع. (لم يميِّزْه سنفكين في البداية، لأنَّه كما تتذكَّرون، كان بنفسجيَ اللونِ عندما قابلَهُ سابقًا.)

«أسرعُوا!» زعق. «أختي! شجرةٌ فظيعةٌ! إنَّها تلتهمها!»

هالهم كثيرًا أنْ يكتشفوا أنَّ الحال هي بالضَّبط كما قال السّنورك. شجرةٌ سامَّةٌ من فصيلة الأنغستورا قبضت على ذيل الآنسة سنورك، وبدأت تجذِبها، والفتاةُ تطلقُ صرخاتٍ مدوِّيةً، وتقاوم بكلِّ ما أوتيت من عزمٍ.

«شجرةٌ بائسةٌ!» صاح مومين ترول وهو يلوِّح بمطواتِهِ (المطواةُ الجديدةُ التي تحتوي على مفتاحٍ لولبيٍّ، وأداةٍ لنزع الحجارة من حوافرِ الخيولِ)، دار حول الشَّجرة وهو ينعتُهَا بأسماءَ فظَّةٍ، مثل «دودةُ الأرضِ»، «فرشاةٌ خشنةٌ» و «حشرةٌ بذيلِ جرذ». نظرَتِ الشَّجرة شذرًا إلى مومين ترول بكلِّ عيونِ

أزهارِهَا الصَّفراء المُخضرَّةِ، وفي النِّهايةِ أفلتَتِ الآنسة سنورك، ومدَّت أذرعَها المجدولة نحوه بدلَ الفتاةِ. راقب سنفكين والآخرون المعركةَ الشَّرسة التي تَلَتْ، وهم لا يكادُون يتجاسرون على التَّنفُّسِ. واندفع مومين ترول هنا وهناك، وذيلُه يخبطُ بغضبٍ، مهاجمًا بلا كلَلٍ أذرعَ الأنغستورا الملوِّحَةِ.

ندَّت عَنِ المشاهدين صرخةُ رعبٍ عندما التفَّتْ إحدى الأذرعِ الخضراءِ حولَ أنفِ مومين ترول. ثمَّ تحوَّلتِ الصَّرخةُ إلى صيحةِ حربٍ منتصرةٍ عندما بترَ الذِّراع بضربةٍ واحدةٍ. ثُمَّ أصبحَ العراكُ أكثرَ عنفًا؛ كانت الشَّجرةُ ترتعد بأكملِها، ووجُهُ مومين ترول أحمرُ من شدَّةِ الغضبِ والجهد. لفترةٍ طويلةٍ ما عاد يمكن تمييز شيءٍ سوى دوَّامة من أذرعٍ وذيلٍ وساقَينِ.

وجدَتِ الآنسة سنورك حجرًا كبيرًا، سارعت إلى قذفِهِ صوبَ المعركة الدَّائرة، لكن بما أنَّ الحجر أصابَ بطنَ مومين ترول لم يساعدْ كثيرًا.

«آه يا ربِّي! آه يا ربِّي!» ناحَتِ الآنسة سنورك. «لقدْ قَتلتُهُ!»

«كما تفعلُ أيّ بنتٍ!» علَّق سنيف.

لكنَّ مومين ترول لم يمُتْ بعد. صعَّد وتيرةَ القتال أكثر من أيِّ وقتٍ، وقطع أذرعَ الأنغستورا واحدةً تلو الأخرى. عندما لم يبقَ شيءٌ سوى قرمة شجرةٍ طوى سكينَهُ وقَال بأسلوبٍ متفوِّقٍ نوعًا ما، كما بدا لسنيف، «حسنًا، ذاك ذاك!»

«أوه، يا لكَ من شجاع!» همسَتِ الآنسة سنورك.

«إيه، أَنَا أقوم بمثلِ هذه الأشياء يوميًّا تقريبًا،» ردَّ مومين ترول بصوتٍ رقيقٍ.

«أحقًّا تفعلُ؟» بدأ سنيف. «أنا أبدًا...» لكنَّ جملَتَه لم تصل إلى ما هو أكثر من الصَّريرِ لأنَّ سنفكين داس على إصبعِ قدمِهِ.

«ما ذاك؟» تساءلَتِ الآنسة سنورك مجفلةً، إذا ما زالت إلى حدٍّ ما عصبيَّةً بعد التَّجربةِ المخيفة التي مرَّت بها.

«لا تخافي،» بادرها مومين ترول بالقول. «أنا هنا لأحميكِ. ومعي هديَّةٌ صغيرةٌ لكِ أيضًا،» وسرعان ما أخرج حلقَةَ الكاحل الذَّهبيَّةِ.

«ياه!» صاحت الآنسة سنورك، وتغيَّر لونُها إلى الورديِّ من السَّعادة. «ظننتُ أنَّني فقدتُهَا. أوه، يا للروعة!» وضعَتِ الحلقةَ فورًا، ثمَّ دارَتْ ولفَّتْ، محاولَةً أن ترَى تأثيرها.

«لم تكفَّ عنِ التَّشكِّي بسبب فقدانِهَا الحلقةَ علَى مدى يومين،» قال السِّنورك. «ولمْ تأكُلْ إلَّا بصعوبةٍ. والآن، إذا لم يكن لديكم مانِعٌ، أقترحُ أنْ نقصدَ فسحةً صغيرةً أعرفُ موقعَها، ونعقدُ اجتماعًا. أعتقِدُ أنَّ لدينا أمورًا أهمُّ بكثيرٍ مِنَ الحلقَاتِ الذَّهبيَّةِ لنناقشَهَا.» وبالتَّالي قادَهُم إلى فسحتِهِ تلك، وجلسوا في دائرةٍ وانتظرُوا.

«والآن،» قال مومين ترول. «عنْ أيِّ شيءٍ سنتحدَّثُ؟»

«عنِ المُذنَّبِ طبعًا،» أجاب السّنورك، وهو يلقي نظرةً متخوِّفَةً إلى السَّماء. «أوَّلًا، أنتخبُ نفسي رئيسَ وسكرتير هذا الاجتماع. أهناك أيُّ اعتراضٍ؟»

وعندما لم يعترض أحد، نقرَ السّنورك بقلمِهِ على الأرض ثلاثَ مرَّاتٍ. وظنَّتِ الآنسة سنورك أنَّه يقضي على نمْلَةٍ.

«أهي نملةٌ سامَّةٌ؟» سألتهُ باهتمامٍ.

«صه! أنتِ تشوِّشين هذا الاجتماع!» قال أخوها. «ستسقطُ في السَّابع من شهرِ تشرين الأوَّل السَّاعة 8.42 مساء، أو ربَّما بعد أربع ثوانٍ.»

«ماذا تقصدُ؟ أتعني النَّملةَ السَّامَّةَ؟» استفسرَ مومين ترول الذي اختلطَتْ عليه الأمورُ، بعد المعركةِ معَ الشَّجرةِ وجمالِ الآنسة سنورك.

«لا، لا، التَّجمةُ المُذنَّبةُ،» وضَّح السّنورك بصبرٍ نافدٍ. «علينا الآن أن نسألَ أنفسَنا عنْ ما ينبَغي عمَلُه؟»

«قرَّرنا الذَّهاب إلى البيت بأقصى سُرعة،» قال مومين ترول. «وآملُ أن ترافقَنا أنت وأختكَ.»

«سأفكِّر في هذا،» أجابَ السّنورك. «يمكننا أن نتعمَّقَ أكثر في هذا السُّؤال خلال اجتماعِنَا القادم.»

«اسمعوا،» قاطَع سنفكين الحوارَ، «هذا يجب البتُّ فيه بحزمٍ حالًا. إنَّنا في الرَّابع من تشرين الأوَّل، ونحن في العصر الآن، لدينا فقط ثلاثةُ أيَّامٍ بالضَّبط لنصلَ إلى وادي المومين.»

«أتعيشُ هناك؟» سألته الآنسةُ سنورك.

«نعم،» قال مومين ترول. «إنَّه وادٍ رائعٌ. وقبل أنْ أغادرَ صنعتُ أرجوحةً، وسنيف اكتشفَ كهفًا بديعًا سأريكم إياه...»

«انتظرْ لحظةً،» قال السّنورك وهو ينقرُ الأرض بقلمِهِ مجدَّدًا. «حافظ على الموضوع رجاءً. أيمكن أن نصلَ إلى هناك قبل المُذنَّبِ، وإذا صحَّ هذا هل سنكون آمنين في واديك ذاك؟»

«هو إلى الآن على ما يرام،» قالَ سنيف.

«وماما ستفكِّر في حلٍّ ما،» أعلن مومين ترول. «ويجب أن ترَوا الكهفَ حيث دفنْتُ لآلئي!»

«لآلئ!» صاحَتِ الآنسة سنورك بحمَاسَةٍ. «أيمكن صُنع حلقات الكاحل مِنَ اللآلئ؟»

«يتهيَّأ لي أنَّ هذا ممكنٌ،» أجاب مومين ترول. «حلقاتُ كاحلٍ، حلقاتُ أنفٍ، حلقاتُ آذانٍ، وحلقاتُ خطوبةٍ...»

«هذه مسألةٌ لاحقةٌ،» قاطعهما السّنورك وهو يخبط الأرضَ بقلمِهِ. «هدوء الآن! يا أختي الغالية، هناك أمورٌ أكثرُ أهميَّةً في العالَم من حلقاتِ الأنفِ.»

«ليسَ إذا كانت مصنوعةً من اللآلئ،» اعترضَتِ الآنسة سنورك. «وها قد كسرْتَ رأس قلمِكَ ثانيةً الآن. ألا يريدُ أحدٌ أن يأكلَ في هذا المساء؟»

«نعم، أنا أريدُ!» صاح سنيف.

«سنؤجِّلُ اجتماعنا إلى صباح الغد،» أعلن السّنورك وهو يتنهَّدُ. «لا انضباط هناك مع وجودِ البنَاتِ.»

«لا تأخذِ الأمرَ بكثيرٍ منَ الجديَّةِ،» قالت أخته وبدأَتْ تُخرجُ الصُّحونَ من السَّلَّةِ الصَّغيرةِ. «مِنَ الأفضلِ لكَ أن تجمعَ لي بعض الحطَبِ. ثمَّ إنَّنا سنكون بمأمنٍ في كهفِ وادي المومين، فأيُّ شيءٍ يستدعي قلقَكَ؟»

«ياه، يا لها من فكرةٍ رائعةٍ!» هتف مومين ترول وهو يتأمَّلُها بإعجابٍ. «إنَّهُ لذكاءٌ منكِ أن تفكِّري في هذا. نعم طبعًا! يمكننا أن نختبِئَ في الكهف عندما تهوي النَّجمةُ المُذنَّبةُ!»

«في كهفي،» صرَّ سنيف متفاخرًا. «سندحرِجُ الحجارةَ أمام مدخلِهِ، ونسدُّ فتحة السَّقف، ونأخذ الكثيرَ منَ الطَّعام إلى هناك، وفانوسًا. ألنْ يكونَ ذلك مثيرًا؟»

«لا بأس، علينا في جميع الأحوال أنْ نعقدَ اجتماعًا،» قال السّنورك. «يجبُ أنْ ننظِّمَ لجنةَ عملٍ.»

«نعم، نعم،» غمغمت أخته بصبرٍ نافدٍ. «ماذا عن ذلك الحطبِ؟ وأنتَ يا سنيف هلَّا ذهبْتَ لجلبِ القليلِ من الماءِ منَ المستنقَعِ، لو سمحْتَ؟»

انطلقَ سنيف والسّنورك إلى مهمتَيهمَا، وانهمكَتِ الآنسة سنورك في إعدادِ المائدَةِ. «مومين ترول أيمكنُ أن تجمعَ بعض الأزهار لنزيِّنَ المائدةَ؟» قالَتْ.

«أيُّ لونٍ تحبِّبينَ؟» سألَها.

نظرَتِ الآنسة سنورك إلى نفسها، ورأَتْ أنَّ لونَها ما زالَ ورديًّا. (كما تتذكَّرون، هذا ما تلوَّنت به عندما أعاد لها مومين ترول حلقةَ الكاحلِ.) «حسنًا،» قالت، «أرى أنَّ الأزهارَ الزَّرقاء ستناسبُنِي!»

«وماذا عنِّي أنا، ماذا أفعلُ؟» تساءَلَ سنفكين.

«اعزفْ لي شيئًا، رجاءً!» أجابتِ الآنسة سنورك.

لذا، أخرج سنفكين الهارمونيكا وعزفَ لحنًا عنِ الأفقِ الأزرقِ.

مضَتْ فترةٌ طويلةٌ قبل أن يعودَ السّنورك جالبًا الحطبَ. «إيه! ها أنتَ هنا أخيرًا،» قالت أختهه.

«استغرق منِّي الأمرُ وقتًا،» ردَّ السّنورك، «لأنَّني طبعًا اضطررتُ إلى البحث عن قطعٍ متماثلةٍ في الطُّول.»

«أهو دائمًا دقيقٌ هكذا؟» استفسرَ سنفكين.

«نعم، هكذا وُلِد،» أجابتِ الآنسة سنورك. «أين سنيف وذلِكَ الماء؟»

للأسَفْ لم يجد سنيف أيَّ ماءٍ. فالمستنقع كان جافًّا؛ لا شيء فيه سوى قليل من الطِّينِ المستقرِّ في قاعه، وجميع زنابقِ الماءِ المسكينةِ ذابلةٌ. تغلغلَ مسافة أطول في الغابة وعثرَ على جدولٍ، بيد أنَّه كانَ جافًّا أيضًا. ذاك بدا عجيبًا جدًّا. في النِّهاية عاد سنيف إلى المخيَّم خائبًا.

«أعتقدُ أنَّ ماءَ العالم كلَّه قد جفَّ،» قال.

«يجبُ أن نناقشَ هذه المسألة،» قال السّنورك. إلَّا أنَّ فكرةً أفضل تراءَتْ لأختِهِ. «سنيف، أمَا كانت لديك قنينةُ شرابِ ليموناضةٍ؟» سألته، وعندما

أخرجها أفرغتها في القدر مع كميَّةٍ من التُّوت، وطهت ألذَّ حساءِ فاكهة يمكن أن يتخيَّلهُ المرءُ.

«الحساءُ ليس الشَّيء الوحيد الذي يجب أن يثيرَ قلقنا،» انبرى السّنورك يقولُ بتفكُّرٍ عميقٍ. «لا بدَّ من أنَّ هناك سببًا ما جعلَ الماءَ كلَّه ينضبُ.»

«على الأرجح لأنَّ الشَّمسَ حارَّةٌ جدًّا،» قال سنفكين.

«أو هذا بسبب المُذنَّبِ،» اقترح سنيف، فنظروا كلُّهم نحو السَّماء. كانت بلونٍ أحمرٍ كامدٍ في ظلام الليلِ المتراكمِ، وعند قممِ الأشجار شعَّ شيءٌ؛ شرارةٌ حمراءُ صغيرةٌ تشبهُ نجمًا بعيدًا. لم تتحرَّكْ، لكنَّها بدتْ تومِضُ وتتأجَّجَ كما لو أنَّها حارَّةٌ جدًّا.

سرَتِ القشعريرةُ في جسم الآنسةِ سنورك ودَنتْ منَ النَّارِ. «أوه يا ربِّي،» همهمَتْ. «هذا لا يبدو ودودًا كثيرًا.» وشيئًا فشيئًا تحوَّل لونُها الوردي إلى البنفسجِيِّ.

بينما جلسُوا وعيونُهم تراقِبُ المُذنَّب أقبلَ مومين ترول بأنفاسٍ متقطِّعةٍ ومعه باقةُ أزهارٍ زرقاءَ. «لم يكن العثورُ عليها سهلًا،» بادرَ إلى القولِ.

«شكرًا جزيلًا،» قالَتِ الآنسةُ سنورك، «لكن كان يجبُ حقًّا أنْ أطلبَ أزهارًا صفراءَ، إذ كما ترى تغيَّر لونِي ثانيةً!»

«أوه، يا ربِّي!» همهم مومين ترول بصوتٍ حزينٍ، «أأذهبُ وأبحثُ عن بعضِها؟» ثمَّ في تلكَ اللحظةِ وقعت عيناه على المُذنَّبِ يومض فوقَ رؤوسِ الأشجارِ.

«لا، لا، لا تزعجْ نفسَكَ،» أجابَتِ الآنسة سنورك، «لكن رجاءً ضع يدك في يدي! أنا خائفةٌ!»

«يجبُ ألَّا تخافِي،» هدَّأَ مومين ترول من روعِهَا. «نعرفُ أنَّهُ لن يضرُبَ الأرضَ قبل ثلاثةِ أيَّامٍ، وفي ذلك الوقت سنكونُ في ديارِنَا، وآمنين في الكهف. والآن هيَّا نتناولُ حساءَكِ البديعِ هذَا، ثُمَّ ننامُ.»

وزَّعتِ الآنسة سنورك الحساء، وبعدما تناولُوا العشاءَ اضطجعُوا إلى جانب بعضهم على الحصيرةِ التي نسجتها من أنصالِ الحشيشِ.

خمدت النَّار رويدًا رويدًا، لكن، فوق الغابةِ المظلمةِ السَّاكنةِ شعَّ المُذنَّبُ متأجِّجًا بالحمرَةِ ومنذرًا بالشُّؤمِ.

8

عن مخازنِ القريةِ ثمّ حفلةٍ في الغابةِ

طوال اليوم التَّالي سافرُوا خلال الغابة، مباشرةً نحو وادي المومين، وتقدَّمَهم سنفكين وهو يعزفُ على الهارمونيكا ليبقِيَ معنويَّاتِهم عالية. في الخامسة عصرًا تقريبًا وصلُوا إلى مسارٍ صغيرٍ أقيمَتْ إلى جانبِهِ لافتةٌ كبيرةٌ معَ سهمٍ، تقولُ:

حفلةُ رقصِ الليلةَ! منْ هُنَا!

مخازِنُ القريةِ!

«أوه، أريدُ أن أرقصَ! أَلَا يمكنُ أن نرقُصَ؟» صاحَتِ الآنسة سنورك وهي تصفِّقُ. «لم أرقُصْ منذ أجيالٍ وأجيالٍ.»

«لا وقتَ لدينا لمثلِ هذا النَّوع مِنَ الأشياءِ،» قال السّنورك.

«ربَّما يمكننا شراءُ شرابِ الليمون من مخازنِ القريةِ،» اقترحَ سنيف. «أنا ظمآنُ كثيرًا.»

«المسارُ في جميع الأحوالِ يقودُ إلى وجهتنا،» أعلن مومين ترول.

«قد نستطيعُ على الأقلِّ أن نلقِيَ نظرةً على حفلةِ الرَّقصِ ونحن نمرُّ،» علَّقَ سنفكين.

تنهَّدَ السّنورك. «أنتم كلُّكم ميؤوسٌ منكم،» قالَ مُذعِنًا.

كان مسارًا صغيرًا مُسليًّا، يتعرَّجُ هنا وهناك، ويتفرَّعُ نحو اتجاهاتٍ مختلفةٍ، بلْ حتَّى يصبح أحيانًا فوضويًّا من منطلقِ المرح الخالِصِ. (المرءُ لا يعتريه التَّعبُ في مسارٍ كذاك، وليسَ هناكَ ما يؤكِّدُ من أنَّه في النِّهاية لا يجعل المرءَ يصل بطريقةٍ أسرعَ إلى البيت.)

اقتطعَ سنفكين لنفسِهِ عصًا وأعادَ رفع رايته الثَّمينة. حمَلَ سنيف الرَّايةَ بينما شُغل سنفكين بالعزفِ، أمَّا الآنسة سنورك فطفَرتْ هنا وهناك ذهابًا وإيابًا تلتقطُ الزُّهورَ المناسَبةَ لأيِّ مزاجٍ يصدُفُ أنَّها فيهِ، وتضعها وراءَ أذنِهَا.

«أخبرني المزيد عن وادِيك،» قالَتْ لمومين ترول.

«إنَّهُ أروعُ وادٍ في الدُّنيا،» أجابَ. «فيه أشجارٌ زرقاءُ يتدلَّى الإجاص من أغصانها، وطيورُ البرقشِ تغنِّي منَ الصَّباح إلى الليلِ، وهناكَ وفرةٌ من أشجارِ الحورِ الفضيَّةِ، وهي رائعةٌ للتسلُّقِ - فكَّرْتُ أنْ أبنيَ عرزالًا لِي في إحدَاهَا. وفي الليل يعكسُ القمرُ شعاعَهُ علَى النَّهر الذي يخرُّ على الصُّخور بصوتٍ يشبهُ صوتَ زجاجٍ مكسورٍ، وبابا شيَّد جسرًا فوقَهُ يتَّسعُ لمرورِ عربَةٍ يدويَّةٍ.»

«أيتحتَّمُ عليكَ أنْ تكونَ في منتَهى الشَّاعريَّةِ؟» قال سنيف. «ونحن في الوادي ما تحدَّثتَ إلَّا عنْ روعةِ الأماكِنِ الأخرى.»

«ذاكَ مختلفٌ،» أجابَ مومين ترول.

«وهذا صحيحٌ،» وافقَهُ سنفكين. «نحن كلُّنا هكذا. عليكَ أنْ تذهبَ في رحلةٍ طويلةٍ قبل أن تكتشِفَ كم أنَّ البيتَ رائِعٌ.»

«وأين هو بيتُكَ إذًا؟» سألته الآنسة سنورك.

«ليس في أيِّ مكانٍ، أو بالأحرى في كلِّ مكانٍ، يعتمدُ هذا على نظرَتِكِ إلى الأمر،» قَالَ سنفكين وعلى وجههِ مسحَةُ حزنٍ.

«أليسَ لديكَ أمٌّ؟» سألَه مومين ترول وقد شعرَ بأسفٍ شديدٍ عليهِ.

«لا أدري. قيلَ لِي إنَّهم عثرُوا عليَّ في سلَّةٍ،» ردَّ سنفكين.

«مثل مُوسَى،» قال سنيف.

«تعجبني حكايةُ موسَى،» انضمَّ السّنورك إلى الحوارِ. «لكنَّنِي أرَى أنَّه كانَ في وسعِ أمِّهِ أنْ تَجِدَ طريقةً أفضل لتنقِذَهُ، ألَا توافقُونَ مَعَي؟ كان يمكن أنْ تفترسَهُ التَّماسيحُ.»

«كادت التَّماسيحُ تفترسُنَا،» صرَّح سنيف.

«كان يمكن أن تخفي أمُّ موسى طفلَهَا في صندوقٍ له فتحاتٌ للهواء،» قالتِ الآنسة سنورك. «هذا كان سيبقي التَّماسيحَ بمنأىً عنهُ.»

«مرَّةً حاولنا صنعَ خوذَةِ غوصٍ مزوَّدةٍ بأنبوبٍ للهواء،» انبرَى سنيف يقولُ. «بيدَ أنَّنا ما نجحْنَا مطلقًا في منعِ الماءِ مِنَ الدُّخولِ فيها. مرَّةً ومومين ترول يغوصُ ابتلعَ بعضَ الماءِ وكادَ يختَنِقُ. كان ذَلك مضحِكًا!»

«أوه!» أنَّتِ الآنسَةُ سنورك بفزَعٍ. «لا ريبَ في أنَّ هذَا رهِيبٌ.»

بينما هم يمضُون في طريقهم ويدردشُونَ أبصروا فجأةً أمامَهم مخازنَ القريةِ. أطلق سنيف صيحةً ولوَّحَ بالرَّايةِ فوقَ رأسِهِ، فهرعوا يقطعونَ الدَّربَ بنشاطٍ.

كانتْ مخازنَ جيِّدةً جدًّا حقًّا. في الحديقةِ مختلفُ أنواعِ الزُّهورِ التي يمكن التَّفكيرُ في زراعَتِهَا، منسَّقةً بصفوفٍ أنيقةٍ، بناءُ المخازن أبيضُ والعشبُ نامٍ على سطحِهِ. أمامَ البناءِ ثمَّةَ شيءٌ يشبهُ ساعةً شمسيَّةً، لكن بدلًا من أن تشيرَ إلى الوقت تضمَّنت كرةً فضيَّةً كبيرةً مثل مرآةٍ، تعكس صورةَ البناءِ والحديقةِ.

كانت هناك لافتاتٌ ومُلصقاتٌ عنِ الصَّابون ومعاجينِ الأسنانِ واللبانِ، وتحتَ النَّافذة نمى قرعٌ أصفرُ وأخضرُ ضخمٌ.

ارتقى مومين ترول الدَّرج، وفتحَ الباب الذي عُلِّقَ عليه جرسٌ صغيرٌ رنَّ فوق رأسِهِ. دخلُوا واحدًا تلو الآخر، كلُّهم ما عدا الآنسة سنورك الَّتي بقيتْ في الحديقة تتأمَّلُ نفسَها بإعجابٍ في الكرةِ الفضيَّةِ. وراءَ منضدةِ البيعِ جلسَتْ سيِّدةٌ عجوزٌ ذاتُ عينين صغيرتين لامعتين مثل عينيِّ فأرٍ، وشعرٍ أبيضَ.

«آها!» همْهَمت. «كثيرٌ مِنَ الأطفالِ. وكيفَ يمكِنُ أنْ أخدمَكُم يا أحبابِي؟»

«شرابُ ليمونٍ رجاءً يا سيِّدتِي،» قَالَ سنيف. «أخضرَ في حال توافرَ لديكَ.»

«ألديكِ يا سيِّدتي كُرَّاسةُ تمارين بخطوطٍ تنفصل عن بعضِها مسافَةَ بوصةٍ؟» سألها السّنورك الَّذي نوى تدوين كلِّ الإجراءاتِ التي ينبغي اتِّخاذها عندما يضربُ المُذنَّبُ الأرضَ.

«بالتَّأكيدِ،» أجابَتِ السَّيِّدةُ العجوزُ، «أتعجِبُكَ واحدةٌ زرقاءُ اللونِ؟»

«حسنًا، أنا أفضِّل لونًا آخرَ،» أعلن السّنورك، لأنَّ الدّفاترَ الزَّرقاء ذكَّرتهُ بالمدرسة.

«أحتاجُ حقًّا إلى بنطلونٍ جديدٍ،» قال سنفكين. «لكن لا داعِيَ لأنْ يكونَ جديدًا جدًّا. أفضّلُ البنطلونات التي سبقَ أن اتَّسعَتْ لتناسبَ شكلَ جسمِي.»

«نعم، طبعًا،» قالَتِ العجوزُ وهي تتسلَّقُ سلُّمًا وتتلقَّفُ بنطلونًا متدلِّيًا من السَّقفِ. «مَا رأيكَ في هذَا؟»

«إنَّه جديدٌ جدًّا وفي منتَهى النَّظافةِ،» أجابَ سنفكين بنبرةٍ حزينةٍ. «أليسَ لديكِ شَيءٌ أقدمُ منهُ؟»

فكَّرتِ العجُوزُ برهَةً. «هذا أقدمُ بنطلونٍ عندي في المخزَنِ،» أجابَتْ أخيرًا، «وغدًا سيصبحُ أقدمَ، وربَّمَا أقذرَ أيضًا،» أضافَتْ وهي تنظرُ إلى سنفكين من فوق نظارَتِهَا.

«أوه، طيِّب،» قال، «سأتَوارى خلفَ الزَّاويةِ وأجرِّبُه. إنَّما أشكُّ كثيرًا في أنَّه سيناسبني.» وسرعانَ ما اختفى في الحديقةِ.

«والآن، ماذا عنكَ يا صغيري؟» قالَتِ العجوز وهي تلتفتُ إلى مومين ترول الَّذي تلوَّى من الإحراج وقال بحياءٍ: «أأجدُ عندك شيئًا يماثل إكليلًا ماسيًّا؟»

«إكليلًا ماسيًّا؟» هتفت العجوزُ بدهشَةٍ. «ماذا تنوي أنْ تفعلَ بهِ؟»

«ليهديه للآنسة سنورك طبعًا،» صرَّ سنيف الذي جلس على الأرضيَّةِ يرشفُ شراب الليمون بوساطة قصبةٍ. «أصابَتْهُ لوثةُ جنونٍ منذُ أن قابلَ تلك البِنْتَ.»

«ليس من الجنونِ أبدًا أن تقدِّمَ الحلِيَّ لبنتٍ،» قالَتِ العجوز بنبرةٍ صارمةٍ. «أنتَ أصغرُ مِنْ أنْ تفهمَ، لكن في الواقع، الحليُّ هي الهدية الوحيدة المناسِبَةُ

لأيِّ أُنثَى.»

«أوه،» همهَم سنيف ودفنَ أنفَهُ في شراب الليمون.

فتَّشَتِ العجوزُ في رفوفِ مخزنِهَا وَلمْ تَجِدْ أيَّ إكليلٍ.

«لعلَّ هناك واحدًا تحْتَ منضدَةِ البيعِ؟» اقترحَ مومين ترول.

ألقَتِ العجوزُ نظرَةً. «لا،» أعلَنَتْ بحزنٍ. «لا شيء هناك أيضًا. يتهيَّأُ لي أَنْ لَا أكالِيلَ لَديَّ. لَكِنْ لعلَّ زوجًا مِنْ قفازات السّنوركيين يفِي بالغَرضِ بدلًا من ذَلِكَ؟»

«لست واثقًا تمامًا من هذا...» قالَ مومين ترول الذي بَدَا مهمومًا جدًّا.

في تلك اللحظة رنَّ جرَسُ البابِ، ودخلَتِ الآنسة سنورك إلى المخزَنِ.

«مسَاءُ الخَيرِ،» هتَفَتْ. «يَا لَهَا من مرآةٍ جميلَةٍ تِلكَ الَّتي لَديكِ في الحديقَةِ! منذُ أنْ فقدْتُ مرآة الجَيبِ اضطرَرْتُ إلى تأمُّل نفسي في البرَكِ الصَّغيرةِ، والمرءُ يبدو مضحكًا كثيرًا فيها.»

غمزَتِ العجوزُ مومين ترول، تناولَتْ شيئًا من أَحدِ الرُّفوف ومرَّرته لَه مِن تحتِ منضدَةِ البَيعِ. ألقَى مومين ترول نظرَةً إِلَى الأسفل: كان ذلك الشَّيءُ مرآةً صغيرةً مستديرةً بِإطارٍ فضيٍّ، وَفِي ظهرِهَا وردةٌ حمراءُ مرصَّعةٌ بالياقوت. سُرَّ سرورًا بالغًا وغمزَ العجوزَ. أمَّا الآنسة سنورك فَلمْ تُلاحظْ شَيئًا.

«ألديكِ ميداليَّاتٌ يا سيِّدتي؟» انبرَتِ الآنسة سنورك تَسألُ.

«لديَّ ماذَا، يا عزيزتي؟» استفسرَتِ العجُوزُ.

«ميداليات،» كرَّرتِ الآنسة سنورك. «نجومٌ يمكن تعليقُها على الصَّدر. الرِّجالُ يحبُّون مثلَ هذهِ الأَشياءِ.»

«أوه، نعم، أكيد،» هتفَتِ العجوزُ. «ميداليَّات.» وفتَّشتْ في أرجاء المخزنِ كلِّها - سواءَ على الرُّفوف أو تحت منضدةِ البيعِ.

«ولَا واحدة لديك؟» سألتها الآنسة سنورك في حين بدأَتْ دمعَةٌ تسيلُ على أنفِهَا.

اغتمَّت العجوزُ كثيرًا، ثمَّ فجأةً خطرت لها فكرةٌ وتسلَّقَتِ السُّلَّمَ إلى الرَّفِّ الأعلى، حيثُ كان هناك صندوقٌ فيه زينةُ شجرةِ عيد الميلاد، وبين تلْكَ الأشياءِ وجدَتْ نجمَةً فضيَّةً كبيرَةً.

«انظرِي!» صاحت وهي تحملُ النَّجمةَ. «وجدتُ لكِ ميداليَّةً!»

«أوه، يا لِجمالِهَا!» هلَّلَتِ الآنسةُ سنورك، ثمَّ التفتَتْ إلى مومين ترول وَقالَتْ بحياءٍ: «هذه لك يا مومين ترول لِأنَّكَ أنقذتَنِي من تلكَ الشَّجرةِ السَّامَّةِ.»

انبهرَ مومين ترول. جَثَا، وعلّقتِ الآنسة سنورك النَّجمة في مكان ما عند بطنهِ (أنوفُ المومين تصل إلى صدورِهم، لذا يصعب تعليقُ الميداليات هناك)، حيثُ لمعت بروعةٍ منقطعةِ النَّظير.

«ما عليكَ إِلَّا أنْ تَرَى الآنَ كم يبدُو منظرُكَ رائعًا،» قالَتِ الآنسةُ سنورك. عندَئِذٍ، أظهر مومين ترول المرآة الَّتي تعمَّدَ إِخفاءَهَا وراءَ ظهرِهِ. «اشتريتُ هذهِ لَكَ،» قَالَ. «أريني كيفَ تنظرِينَ فِيهَا!»

بينما راحَا يتأمَّلَانِ صُورتَهما في المرآة وَهُمَا يهتِفَانِ «أوه» و «آه»، رنَّ جرسُ البابِ من جديدٍ وَدخلَ سنفكين.

«أعتقدُ أنَّهُ سيكونُ منَ الأفضَلِ لو أنَّ البنطلونَ ازدَادَ قدمًا هُنَا،» قال. «ما زال لا يُناسبُني.»

«يا للعجب،» هتفَتِ العجُوزُ. «خسارة! لكن ما رأيُكَ بقبَّعةٍ جديدَةٍ؟»

بِيدَ أنَّ هذِهِ الفكرَةَ جعلَتْ سنفكين يستنفِرُ، فأحكَمَ شدَّ قبَّعتِهِ فوقَ أُذنَيهِ وَهو يقُولُ: «أشكرُكَ، لَكنَّني فكَّرتُ توًّا كَمْ مِنَ الخَطرِ أَنْ يثقلَ المرءُ كاهلَهُ بالممتَلكَاتِ.»

طَوالَ هذا الوقت جَلسَ السّنورك يكتُبُ في كرَّاستِهِ، والآن نَهضَ وقَالَ:» عليكُم تذكُّرُ أمرٍ واحدٍ وأنتُم تهربُون مِنَ المُذنَّبِ، وهو أَلَّا تُطِيلُوا الوقُوفَ كثيرًا فِي مخازِنِ القُرى. وَبالتَّالِي أقترِحُ أَنْ نُتابِعَ رحلَتنَا. هيَّا يا سنيف أسرعْ، وَأَنْهِ شَرابَ الليمون.»

حاولَ سنيف ابتلَاعَ الشَّراب، وطبعًا سَال معظمُهُ على الأرضيَّةِ.

«هذا ما يفعله دائمًا،» علَّق مومين ترول. «أنذهَبُ الآن؟»

«ما ثَمنُ ذلك كلِّه يا سيدتي؟» سألَ السّنوركُ العجوزَ. فبدأَتْ تحسب، وبينما هي منهمكة في الحسابِ، تذكَّر مومين ترول فجأة أنْ ليس معهم أيُّ نقودٍ. بل حتَّى لا أحد منهم يلبس شيئًا فيه جيوب باستثناء سنفكين، وجيوبُ بنطَلونهِ كانت فارغَةً. وكزَه مومين ترول، ملمِّحًا بحاجبَيه بإشاراتٍ يائسَةٍ، وتبادل السّنورك وأختُهُ النَّظرات برعْبٍ. لا أحد منهم يَملُكُ بنسًا واحدًا!

«الحِسَابُ كالتَّالِي: 40 بنسًا للكرَّاسة، و34 بنسًا لشرابِ الليمون،» قالَتِ العجوزُ. «النَّجمة تكلِّف 3 جنيهات، والمرآة 5 جنيهات لأنَّ الياقوت الذي على ظهرِهَا أصليٌّ. المجموع 8 جنيهات و74 بنسًا.»

لم ينبس أيٌّ منهم بكلمَةٍ. تناولَتِ الآنسة سنورك المرآة، ووضعَتْهَا على منضدَةِ البيع وهي تتنهَّد. وبدأ مومين ترول ينزع ميداليته، تساءل السّنورك بينه وبين نفسه ما إذا كان ثمن الكرَّاسة يصبح أقلَّ أو أكثر بعد الكتابة فيه، وسنيف اكتَفَى بالتَّفكير في شراب الليمون الذي انسكَب معظمُه على الأرضيَّةِ.

ندَّتْ عَنِ العجوزِ كحَّةٌ قصيرةٌ. «حسنًا الآن يا صِغَاري،» قالَتْ. «هناك البنطلون القديم الَّذي لم يأخذه سنفكين؛ ثمنه يساوي 8 جنيهات بالضَّبط، وكما ترون،

شيءٌ واحدٌ يلغي الأشياءَ الأخرى، وأنتم في الواقع لا تدينون لي بِأيٍّ شيءٍ أبدًا.»

«أهذا صحيح حقًّا؟» سألها مومين ترول بارتِيابٍ.

«أوضح من النَّهار يا صغيري مومين ترول،» أجابَتِ العجوزُ. «وسأحتَفظُ بالبنطلون.»

حاول السّنورك أن يحسُبَ في عقلِهِ ولم يستطع، فكتب ذلك في الكرَّاسَةِ هكذا:

كرّاسة تمارين 40 بنسًا

شراب ليمون 34 بنسًا

نجمة 3.00 جنيهاتٍ

مرآة (مرصَّعة بالياقوت) 5.00 جنيهاتٍ

المجموع 8.74 جنيهًا

بنطلون 8.00 جنيهات

الباقي 74 بنسًا

«صحيح تمامًا،» قال بدهشة.

«لكن بقي 74 بنسًا،» اعترض سنيف. «ألن نحصلَ عليها؟»

«لا تكن لئيمًا،» زجَره سنفكين. «سنعتبر هذا حسبةً عادِلَةً.»

وهكذا شكرُوا العجوز وكانوا يهمُّون بالمغادرة عندما تذكَّرت الآنسة سنورك شيئًا.

«أيمكن رجاءً أن تخبرِينِي أينَ ستُقامُ حفلَةُ الرَّقص الليلةَ؟» استفسَرَتْ.

«حسنًا، ما عليك إلَّا أن تتبَّعي الدَّرب إلى أن تصلِي إلى المكان. ولا شيءَ سيبدأ قبل أن يبزُغَ القمَرُ.» قالَتِ السَّيدة العجوزُ.

كانوا قد خلَّفوا مخازنَ القريةِ وراءَهم بمسافةٍ لا بأس بها عندما توقَّف مومين ترول ووضع يده على رأسه. «المُذنَّب!» صاحَ. «أَلَا يقتضي الواجب منَّا أن نحذِّر السَّيِّدة؟ لعلَّها قد ترغبُ في مرافقتنا وتختبِئَ في الكهف معنا. سنيف هلَّا عُدت جريًا إليها لتسألَها؟»

خبَّ سنيف مبتعدًا، وجلسُوا عند جانبِ الدَّرب لينتظرُوا.

«أتعرف كيفَ ترقص السَّامبا؟» سألَتِ الآنسة سنورك مومين ترول.

«إيه، قليلًا،» أجابَ، «لكنَّني أحبُّ الفالس أكثر.»

«لا يكادُ يكون لدينا وقتٌ من أجل هذه الحفلة الرَّاقصة الليلة،» تذمَّر السّنورك. «انظرُوا إلى السَّماءِ.»

نظرُوا.

«لقَدْ أصبحَ أكبر،» قال سنفكين. «أمس لم يتعدَّ حجمَ رأسِ دبوسٍ. الآن هو بحجمِ بيضَةٍ.»

«على أيِّ حالٍ أنا واثقة من أنَّك تستطيعُ أن ترقصَ التَّانغو،» تابعَتِ الآنسة سنورك. «خطوةٌ قصيرةٌ إلى الجَانب وخطوتان طويلتان إلى الوراءِ.»

«تبدو رقصةً سهلةً،» قال مومين ترول.

حينئذٍ انبرَى السّنورك يقولُ: «أختي، ليسَ في رأسِكِ فكرةٌ جديَّةٌ واحدَةٌ. ألَا يمكنكِ أبدًا أن تلتزِمِي بموضوعِ المناقشَةِ؟»

«بدأنا في التَّحدُّث عنِ الرَّقص،» ردَّتِ الآنسة سنورك، «ثمَّ قاطعتْنَا فجأةً وفتحْتَ موضوع المُذنَّب. أنا ما زلتُ أتحدَّثُ عَنِ الرَّقصِ.»

ثمَّ أخذ لونُهمَا يتغيَّرُ. إنَّما لحُسن الحظِّ أقبل سنيف في تلك اللحظة. «لا تريد أنْ ترافِقَنَا،» قال. «ستزحف إلى القبو عندما يسقطُ. لكنَّها ممتنَّةٌ لنا كثيرًا، وأرسلت معي مصَّاصاتٍ لنا كلّنا.»

«أنتَ لم تطلُبْ منها ذلِكَ بأيِّ حال؟» استفهمَ مومين ترول بارتيابٍ.

«بائسٌ تعيسٌ!» صاحَ سنيف بسخطٍ. «يا للخاطرة! رأتْ أنَّنا يجبُ أن نحصل عليها بما أنَّها مدينةٌ لنا بمبلَغِ 74 بنسًا. وهذا في النِّهاية صحيحٌ تمامًا.»

لذا تابعُوا السَّير وهم يلعقُونَ المصَّاصَاتِ بينما غاصَتِ الشَّمسُ خلف الأشجار، ملتحفةً بسحبٍ رماديَّةٍ.

بزغَ القمرُ أخضرَ وشاحبًا نوعًا ما، وتأجَّج المُذنَّب بالحمرةِ أشدَّ من أيِّ وقتٍ مَضَى. أصبَحَ الآن بحجمِ الشَّمس تقريبًا مسلِّطًا أشعَّتَه الحمراء الغريبة على الغَابَةِ بأسرِهَا.

وجدُوا ساحةَ الرَّقص في فسحةٍ صغيرةٍ، تحيطُهَا آلافٌ مِنْ حشراتِ الحباحبِ المضيئَةِ التي تكرَّمَتْ وزيَّنتْ نفسَها كما ينبغي. على مقربةٍ جلسَ جندبٌ عملاقٌ بإحدَى يديه قدَحُ جعةٍ كبيرٍ، وعَلى الحشيش إلى جانِبِهِ كَمانٌ.

«أُفٍّ!» قال، «حرارةُ الجوِّ أشدُّ من أنْ تسمَحَ لي بالعَزفِ طَوالَ الوقتِ.»

«لِمَن تعزِفُ؟» سألَتهُ الآنسة سنورك وهي تنظُرُ إِلَى ساحةِ الرَّقصِ الخَاليَةِ مِنَ الرَّاقصِينَ.

«أوه، لِمخلُوقَاتِ الغابة في هذا الجِوارَ،» أجَابَ الجُندبُ وَهو يلوِّح بذراعِهِ ثُمَّ تناولَ شرابًا آخرَ. «لكنَّ تلكَ المخلوقاتِ السَّخيفةَ غيرُ راضيةٍ. تقول إنَّ موسيقاي ليسَتْ عصريَّةً بما يكفِي.»

عندئذٍ لاحظُوا أنَّ المكانَ يعجُّ بمختلفِ أنواعِ المخلوقَاتِ الغريبَةِ. بما في ذلك أشبَاح الماءِ الذينَ صعدُوا من المستنقَعاتِ وبركِ الغَابَةِ الَّتي جفَّت، إِضافَةً إِلَى

مجموعاتٍ مِنْ أروَاحِ الأشجَارِ الَّتي جلست تثرثِرُ تحتَ أشجارْ البُتولَا. (روح الشَّجرةِ هِي مخلوقَةٌ صغيرَةٌ جميلَةٌ تعيشُ في الجذعِ، وفي الليل تطيرُ إلى قمَّة الشَّجرةِ لتتأرجَحَ على أغصَانِهَا - وهي عادةً لَا توجد فِي الأشجارِ التي لَهَا إبرٌ بدلَ الأوراقِ.)

رفعتِ الآنسة سنورك مرآتَهَا لترَى هل تبدُو الزَّهرةُ التي خلفَ أذنِهَا على ما يرام، وعدَّل مومين ترول وضعيَّة ميداليَّتهِ. مضَى وقتٌ طويل منذ أنِ ارتادوا حفلةَ رقصٍ حقيقيةٍ.

«لا أريدُ إهانةَ الجُندبِ،» همسَ سنفكين، «لكن ما رأيكم إذا عزفْتُ للحضورِ قليلًا بالهارمونيكا؟»

«لماذا لا تعزفان معًا؟» اقترح السّنورك. «علِّمْهُ لحنَ تلك الأغنية التي تقول: جميعُ الوحوشِ الصَّغيرةِ يجب أن تتزيَّنَ ذيولُها بالأقواسِ.»

«فكرةٌ جيِّدةٌ،» وافقَ سنفكين. وهكذا اصطحبَ الجندبَ إلى ما وراء شجرة (لم تكن شجرةً سامَّةً هذه المرَّة) ليعلِّمَهُ اللحن. بعد فترة سمع الحضور بضع نوتَاتٍ، ثُمَّ بعضَ الثِّيمات والنَّغمات. توقَّفتِ المخلوقاتُ الصَّغيرةُ عَنِ الثَّرثرةِ ويمَّمتِ الفسحة لتستمع. «يبدو اللحنُ عصريًا،» قالَتِ المخلوقاتُ. «يمكننا أن نرقصَ عليهِ.»

«أوه، ماما!» صاحَ مخلوقٌ صغيرٌ جدًّا جدًّا وهو يشير إلى ميداليَّةِ مومين ترول. «»معنَا جنرال!» وفي الحال تحلَّقُوا كلُّهم حولَ المسافرين وتعالى صياحهم دهشةً وإعجابًا.

«كم أنتِ لطيفة ومنفوشةُ الوبر!» قالوا للآنسة سنورك. وأرواحُ الأشجارِ تأمَّلت نفسها في المرآة المرصَّعة بالياقوت، وأشباحُ الماء مهرَتْ تواقيعَها الرَّطبةَ في كرَّاسةِ السّنورك.

ثمَّ سُمعَتْ حركةٌ مِنْ وراءِ الشَّجرَةِ، وسرعَانَ مَا ظهرَ سنفكين والجندُبُ وهما يعزفان بهمَّةٍ ونشاطٍ.

في البدايةِ سادَتْ فوضَى رهيبةً بينما حاول الحضورُ انتقاءَ شركَائِهم. وفي النِّهايةِ وجدَ كلٌّ واحدٍ منهم الشَّخصَ الذي يودُّ الرَّقص معه وانطلقُوا.

علَّمتِ الآنسة سنورك مومين ترول كيف يرقص السَّامبا (وهذهِ ليسَتْ بالرَّقصَةِ السَّهلَةِ أبدًا إذا كانَتْ ساقَا المرءِ قصيرتَين). رقص السّنورك مع مواطنَةٍ منَ المستنقعَاتِ كبيرةٍ في السِّنِّ ومحترَمَةٍ، تتخلَّل شعرَها أعشابٌ بحريَّةٌ. وسنيف دار ولفَّ مع أصغَر أصغَرِ مخلوقَةٍ هناكَ. بلْ حتَّى البعوض رقَصَ، وخرَجَ مِنَ الغَابَةِ كلٌّ نوعٍ قد يخطُرُ على البَالِ مِنَ الزَّواحفِ ليلقِيَ نظرَةً.

وَلَا أحد أولَى المُذنَّبَ المندفِعَ نزولًا أيَّ اهتمامٍ، مضيئًا الليل الحالِكَ بوهجه العنيفِ.

في حوالي السَّاعة الثَّانيةَ عشرَةَ دُحرِجَ برميلٌ ضخم من نبيذِ النَّخيلِ، وحصلَ كلٌّ مخلوقٍ منهم على قدَحٍ من لحاء البتولا ليشربَ منهُ. ثُمَّ تدحرجت الحباحب مجتمعةً، وطوت نفسها في وسط الفسحة على شكلِ كرةٍ كبيرةٍ، وجلسَ الحضورُ حولَها يحتسون النَّبيذَ ويأكلونَ الشَّطائِرَ (الَّتي زُوِّدوا بِهَا أيضًا).

«الآن يجبُ أن نرويَ حكايةً،» قال سنيف ملتفتًا نحو المخلوقةِ الأصغرِ على الإطلاقِ، «أتعرفين واحدةً أيتها العجيبةُ الصَّغيرة؟»

«أوه، لا، صِدقًا،» همسَتِ العجيبةُ الصَّغيرةُ التي استولَى عليها حياءٌ بالغٌ.
«أوه، لا، حسنًا، حقًّا، إيه ربَّما.»

«علينا بها إذًا،» ألحَّ سنيف.

«كان هناك فأرٌ خشبٌ اسمُهٌ بوت!؟» قالت العجيبةُ الصَّغيرةٌ، وهي تنظرُ بحياءٍ بين يديها.

«طيِّب، وماذا حدثَ؟» حثَّها سنيف.

«انتهَتِ الحكايَةُ،» قالَتِ العجيبَةُ الصَّغيرةُ واختبأَتْ بينَ الأشْنةِ بارتبَاكٍ.

انفجرَ جميعُ الحضورِ بالضَّحكِ، والذين لديهم ذيول خبطُوا الأرضَ بها تعبيرًا عن استحسانهم. ثمَّ طلب مومين ترول من سنفكين أغنيةً.

«أسمِعنا أغنيةَ هيغلي بيغلي،» قالَ.

«لكنَّها أغنيةٌ مغرقةٌ في الحزنِ،» اعترضَتِ الآنسة سنورك.

«لنسمعْهَا معَ ذلك،» قال مومين ترول، «لأنَّهَا أغنيةٌ مناسبةٌ للصَفيرِ.»

لذا عزَفَ سنفكين وشارَكَهُ الحضورُ في ترديِدِ اللازمَةِ:

هيغلي بيغلي

الدَّربُ أعوجُ ومديد

وَهي الرَّابعةُ ويزيد

وأنا تقريبًا مكدُود

والقدمُ صغيرةٌ ومتعبة

وما مِن بابٍ ودود.

أمالَتِ الآنسة سنورك رأسَهَا على كتفِ مومين ترول. «هذا بالضَّبط ما جرى معنا،» نشجت. «ها نحن هنا مكدودين تقريبًا على أقدامٍ متعبةٍ، ولن نصلَ أبدًا إلى البيت.»

«بلى سنصلُ،» قال مومين ترول، «لا تبكي. وعندما نصلُ ستجهِّزُ ماما العشاء وتأخذَنَا بذراعيها، وفكِّري فقط كم سيكون من المسلِّي أنْ نقصَّ عليهم ما جرى معنا.»

«وأنا سأحصلُ على حلقة كاحلٍ من اللؤلؤ،» همهَمْتْ الآنسة سنورك وهي تمسح دموعها. «وماذا عن دبُّوس ربطةِ عنقٍ من اللؤلؤِ لكَ؟»

«نعم،» ردَّ مومين ترول، «ذاك سيكون لطيفًا، إنَّما أنا نادرًا ما أضعُ ربطة عنقٍ.» وبما أنَّ الآنسة سنورك حارت في التَّعليق بأيِّ شيءٍ، سكتَا واستمعَا إلى سنفكين الذي ما زالَ يعزفُ. عزف لحْنَ أغنيةٍ تلو الآخر، إلى أن اختفَتِ المخلوقات الصَّغيرةُ وأشباحُ الماءِ في حنايا الغابة. وزحفَتْ أرواح الأشجار إلى أشجارِهَا، والآنسة سنورك ذهبَتْ لتنامَ ومرآتُها بيدِها.

أخيرًا توقَّفَ العزفُ، وغدتِ الفسحةُ مغرقةً في السُّكونِ. والحباحِبُ رحلَتْ واحدةً بعدَ الأخرى، وبرويَّةٍ بالغةٍ جدًّا شرع الليلُ يزحفُ نحو الصَّباح.

9

عن عبورٍ عجيبٍ في البحرِ النَّاضبِ، وكيفَ أنقذَتِ الآنسةُ سنورك مومين ترول من أخطبوطٍ عملاقٍ

في الخَامس من شهرِ تشرين الأوَّل امتنعَتِ الطُّيورُ عنِ التَّغريدِ. والشَّمسُ بدت في غاية الشُّحوبِ بحيث لا يكاد المرء يرَاهَا، وفوق الغابة تدلَّى المُذنَّبُ مثل عجلةٍ خشبيَّةٍ مطوَّقةٍ بحلقةٍ من النَّار.

لم يعزفْ سنفكين في ذلك اليوم. كان هادئًا جدًّا وفكَّر: «لم أشعر بهذا الاكتئابِ الرَّهيبِ منذُ وقتٍ طويلٍ. أنا عادة أشعر بالأسى، بطريقةٍ ما، عندما تنتهي حفلةٌ ممتعةٌ، لكنَّ هذا شيءٌ مختلفٌ. إنَّه أمرٌ فظيعٌ عندما تختفي الشَّمسُ وتصمتُ الغابةُ.»

الآخرون مثل سنفكين لم يكن لديهم الكثيرُ ليقولُوه. عانى سنيف من صداعٍ، وما انفكَّ يتذمَّر بينه وبين نفسه. كانت أقدامهم متعبة بعد الكثير من الرَّقص، وتقدُّمُهم كان نوعًا ما بطيئًا.

شيئًا فشيئًا قلَّ ظهورُ الأشجارِ، وما لبِثَتْ أنْ امتدَّت أمامهم أرضٌ من كثبانٍ رمليَّةٍ مهجورَةٍ؛ لا شيء سوى تلالٍ رمليَّةٍ مع بعض الخصلاتِ من الشُّوفان البحري الأزرق المائل إلى الرَّماديِّ.

«أنا لا أشمُّ رائحة البحرِ» قال مومين ترول وهو يستنشقُ الهواء. «أفٍّ! الجوُّ حارٌّ.»

«ربَّما هذه صحراء،» قال سنيف.

قُدمًا وقُدمًا مضَوا، فوق إحدى التِّلال ونزولًا من أخرى، والمشي على الرَّمل النَّاعم كانَ شاقًّا.

«انظرُوا!» صاح السّنورك فجأةً. «جماعة الهاتيفاتنر يتنقَّلون من جديد.» وبالتَّأكيدِ أبصروا في المدى خطًّا متمايلًا منَ الأشكالِ الصَّغيرة.

«إنَّهم يتَّجهون شرقًا،» أردف السّنورك. «ربَّما يُستحسن أن نتبَعهم، فهم دائمًا يعرفون أين يكمن الخطر، ويحاولون الابتعادَ عنه.»

«لكن علينا أن نسلكَ هذه الوجهة،» قال مومين ترول. «الوادي يقع غربًا.»

«أنا ظمآن كثيرًا،» ناح سنيف. ولا أحد ردَّ بشيءٍ.

مُرهقون ومثبطو العزيمةِ جاهدُوا في تقدُّمهم. ثم شيئًا فشيئًا بدأت الكثبانُ الرَّمليَّةُ تصبح أكثرَ استواءً، إلى أن انتهَتْ عند صفٍّ من الأعشابِ البحريَّة المتلألئةِ في الوهج الأحمر. وما بعدها يمتد شاطئ حصوي – ثمَّ... وقفوا واصطفُّوا معًا وحملقُوا!

«ياه! يا ويلي!» هتف مومين ترول.

حيث يجب أن يكون البحرُ بأمواجه الزَّرقاء الرَّخوة والمراكب الشِّراعية اللطيفة، فتحَتْ هوَّة سحيقةٌ فمَها متثائبَةً في وجوههم.

تصاعد البخار السَّاخنُ من أعماقِ الأخاديد الهائلة التي بدَتْ أنَّها تُلحف في التَّغلغل في قلب الأرض بحدِّ ذاته، وتحتهم، منحدر يهوي نزولًا... نزولًا...

«مومين ترول!» شهقَت الآنسة سنورك. «نضُبَ البحر بأكمله.»

«ما رأي السَّمك في هذا؟» هتف سنيف.

تناول السِّنورك كرَّاسته، وأضاف شيئًا على ما يكتبه تحت عنوان: مخاطرُ نصادفُها خلال سقوط المُذنَّب، أمَّا سنفكين فسرعان ما جثمَ ورأسُه بين يديه وناح: «أوه يا ربِّي، أوه يا ربِّي، اختفى البحر الجميلُ. لا مزيدًا من الإِبحار، لا مزيدًا من السِّباحة، لا مزيدًا من صيد السَّمك. لا مزيدًا من العواصف الهائلة، ولا الجليد الشَّفافِ ولا الماء الدَّاكن المتلألئ عاكسًا شعاعَ النُّجومِ. انتهى، ضاع، فُقِد!» ثم وضعَ رأسَه على ركبتيه وبكَى كما لو أنَّ قلبَهُ على وشكِ أن يتكسَّر إلى شظايا.

«يا عزيزي سنفوك،» خاطبه مومين ترول بنبرة تأنِيبٍ، «أنت لطالما كنْتَ مفعمًا بالسَّعادة والأمل. من الفظيع أن أراك يائسًا هكذا.»

«أعرف،» أجاب سنفكين. «لكنَّني أحببتُ البحرَ دائمًا أكثر من أيِّ شيءٍ آخرَ. هذا محزنٌ كثيرًا جدًّا.»

«خصوصًا بالنِّسبة إلى السَّمك،» صرَّ سنيف.

«ما أرى أنَّه الأهمُّ،» قاطعهم السّنورك، «هو كيف نجتازُ هذه الهوَّة الهائلة؛ لأنْ لا وقتَ لدينا لنلتفَّ من حولِها.»

«لا، بالتَّأكيد لا،» وافقه مومين ترول بصوتٍ قلقٍ.

«علينا أن نعقدَ اجتماعًا،» قال السّنورك. «وسأترأَسُ الجلسةَ. حسنًا الآن، ما البدائلُ التي لدينا لنعبرَ البحرَ النَّاضب؟»

«الطَّيران،» هتف سنيف.

«لا تكن سخيفًا،» زجَره السّنورك. «اقتراحٌ مرفوضٌ بالإجماع، وبعد؟»

«المشي،» اقترح مومين ترول.

«أنتَ غبيٌّ،» ردَّ السّنورك. «سنسقط في تلك الأخاديدِ الجسيمَةِ، أو نغرقُ في الوحل. اقتراحٌ مرفوضٌ.»

«إذًا اقترِح أنت شيئًا بنفسِكَ!» صاحَ مومين ترول بغضَبٍ.

عندئذٍ، رفع سنفكين رأسه. «أنا أعرف،» هتف، «مِطوالات أرجل خشبية!»

«مِطوالَات خشبيّة؟» استهجنَ السّنورك. «اقتراحٌ مرف....»

«على رسلكَ،» قاطعه سنفكين. «اسمعْ، ألَا تتذكَّر كيف استخدمتُ العصيَّ الطَّويلة في أرض الينابيعِ الحارَّة؟ بخطوةٍ واحدةٍ واسعةٍ يمكنني عمليًّا أنْ أتغلَّبَ على أيِّ شيء. وهذا سريع أيضًا.»

«لكن، أليس من الصَّعب كثيرًا المشي بوساطة المِطوالات؟» سألته الآنسةُ سنورك.

«نستطيعُ التَّدرُّب عليها هنا على الشَّاطئ،» أجاب سنفكين. «الآن ما هي إلَّا مسألةُ العثورِ على الرَّكائزِ.»

وبالتَّالي انطلقُوا كلُّهم في اتجاهاتٍ مختلفَةٍ بحثًا عن عِصيٍّ، وهذه لم تكن مهمَّةً سهلةً أيضًا.

واجهَ السّنورك المشكلةَ بعقلانيَّةٍ منقطعَةِ النَّظير. فكَّر: المطوالات هي دعاماتٌ طويلةٌ. ما هي الدَّعاماتُ؟ هي جذوعُ أشجارٍ وأغصانٍ. وأين هي تلك الأشجارُ؟ في الغابة...» وهكذا ذهبَ يقطعُ الطَّريقَ الطَّويلةَ الحارَّةَ نحو طرفِ الغابَةِ، ووجد غصنَي شجرةِ تنوبٍ طويلين (لا أرواح أشجارٍ في التَّنوب).

فتَّش مومين ترول والآنسة سنورك عن الدَّعامات معًا. دردشَا عن وادي المومين والكهفِ، وسرعان ما نسيا تمامًا عن أيِّ شيءٍ يبحثَان.

«شيَّد بابا جسرًا رائعًا،» قال مومين ترول، للمرَّة الثَّالثة تقريبًا، «لكن في الغالب يعكفُ على كتابةِ ما يسمِّيه المذكَّرات. وهي عن كلِّ ما فعلهُ في حياتِهِ، وحالما ينجزُ شيئًا آخرَ يسارعُ إلى تدوينهِ أيضًا.»

«إذًا هو حتمًا لا وقت لديه ليفعلَ الكثيرَ؟» علَّقَتِ الآنسةُ سنورك.

«أوه، حسنًا،» هتفَ مومين ترول. «إنَّه يتأكَّدُ من إنجاز الأعمال ما بين حينٍ وآخرَ، حتَّى لو لمجرَّد أن يتزوَّد فقط بشيءٍ يكتبُ عنه.»

«أخبرني عن ذلك الفيضانِ الفظيعِ الذي جاءَكمُ،» قالَتِ الآنسة سنورك.

«أوه نعم، كان مخيفًا!» أجاب مومين ترول. «ارتفعَ الماءُ وارتفعَ، إلى أن وقفْتُ أنا وماما وسنيف على تلَّةٍ صغيرَةٍ لا تكاد تتسعُ لشيءٍ آخرَ ولا حتَّى لذيولنا.»

«أفٍّ! كم بلغ ارتفاعُ الماءِ؟» استفسرتِ الآنسة سنورك.

«أعلى منِّي بخمسةِ أضعافٍ، وربَّما أكثر،» أجاب مومين ترول. «تقريبًا بارتفاعِ تلكَ الدَّعامة هناك.»

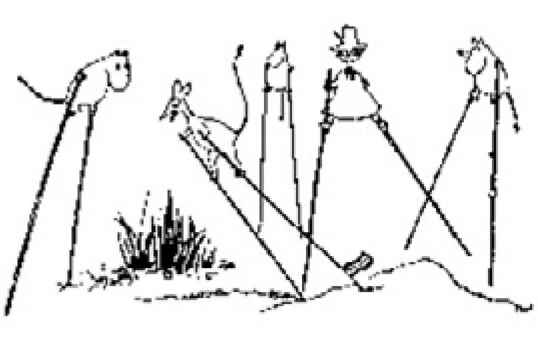

«ياه!» هتفَتِ الآنسة سنورك، وتابعَا تجوُّلَهما وهما يفكِّران في ذلك الفيضان.

بعد فترةٍ توقَّف مومين ترول وسألها. «ألَمْ أقُل بارتفاع تلك الدَّعامة هناك؟»

«نعم، لماذا؟» استفهمَتِ الآنسة سنورك.

«لقد تذكَّرتُ توًّا بأنَّنا نبحثُ عن مِطوالَاتٍ،» أجاب مومين ترول. «يجبُ أن نعودَ ونجلبَهَا.»

عادَا أدراجَهما على طول الشَّاطئِ إلى أن شاهدَا الدَّعامةَ مرَّةً أخرى. كانت دعامةً طويلةً جدًّا ملوَّنةً بالأحمرِ والأبيضِ.

«إنَّها واحدةٌ من تلْكَ الأعمدَةِ التِّي يستعملونَهَا في البحرِ لتحديدِ مكانِ الصُّخورِ من أحدِ الجوانِبِ،» شرح مومين ترول، «وذاكَ العمودُ لتحديدِ جانبِ الصُّخور الآخر.»

كانا في ما بدَا أنَّه خليجٌ صغيرٌ قبلَ أن يجفَّ البحر، والشَّاطئ هناك عجَّ بالحطام وبأكوامٍ من الخشب المجروفِ، ولحاءِ أشجارِ البتولا والأعشابِ البحريَّةِ. عثرَتِ الآنسة سنورك على مقبضِ قمَّةِ ساريةِ سفينةٍ، بيد أنَّه كان أضخم من أخذهِ معهما. بدلًا من ذلك التقطَتْ قنينَةً ذاتَ سدَّادَةٍ مُذهَّبَةٍ جُرفت على طول المسافةِ من المكسيكِ. ثمَّ سرعان ما صادفا لوحًا خشبيًا طويلًا جدًّا تكسَّر إلى قطعتينِ، وبدا نافعًا جدًّا للزوج الآخر من مِطوالاتِ الأرجلِ.

انطلقا عائدَين وهما راضِيَين عن نفسِهما، ووجدا الآخرين يتدرَّبون. كان سنفكين يعلِّمُهم بفخرٍ على قصبةِ صيد سمكٍ وقضيبِ قفزٍ، وسنيف يحاول

الحفاظ على توازنه على عصًا مكنسةٍ وعمودِ السَّارية الذي ما زال العلم معلَّقًا بطرفِهِ.

«كان عليكما أن تريَاني قبلَ دقيقةٍ،» صاح سنيف وعلى الفور خرَّ أرضًا على أنفِهِ.

«عليك أن تفعلَ هكذا،» قال السّنورك وصعدَ إلى كتلةٍ رمليَّةٍ. «إنَّها مثل انتعالِ جِزَمِ الاستعراض ذات الخطواتِ السَّبعةِ!» أمَّا الآنسة سنورك فأنَّتْ من الخوف عندما رفعوها على مِطوالتيها. لكن، بعد فترةٍ أصبحت أمهرَهم، وراحت تتهادى في المكان بأسلوبٍ استعراضيٍّ، حتَّى ليكادُ يظنُّ المرء أنَّها قامت بهذا طوال عمرها.

«يبدو لي هذا جيدًا جدًّا الآن،» قال سنفكين بينما راحُوا يتوازنون ويترنَّحون ويقعون على مدى ساعةٍ أو ما يقاربها. «هيَّا نبدأُ.»

واحدًا تلو الآخر، ومِطوالات كلِّ واحدٍ منهم تحْتَ ذراعَيهِ، شرعوا يهبطون على المنحدرِ الوعِرِ والزَّلِق نحو الهاوية.

كان الوضع في قاع البحر باعثًا على الكآبةِ. أعشابُ البحر التي تبدو في غايةِ الجمال وهي تتمايل بخضرةٍ شفَّافةٍ في الماء، بدت سوداءَ وذابلةً، والسَّمك تخبَّطَ بطريقةٍ مثيرة للشفقة في البركِ المائيَّة شبهِ النَّاضبة.

تصاعد البخار كأنَّه غلالة دخَّانٍ فوقهم، وخلاله شعَّ المُذنَّب بضوءٍ كالحٍ مخيف.

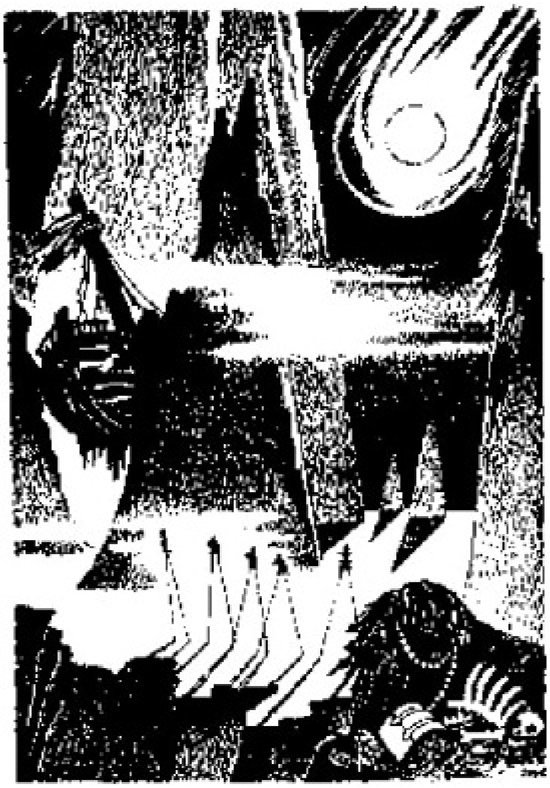

«هذا تقريبًا يشبه أرض الينابيع الحارَّةِ،» علَّقَ سنفكين.

«رائحتُهُ كريهةٌ،» تذمَّر سنيف وهو يجعِّدُ أنفَه. «لا أحد ينسى أنَّني لست المُلامَ في هذا. لقد حذَّرتكم...»

«كيف تسيرُ أمورككِ؟» صاح مومين ترول مخاطبًا الآنسة سنورك من خلال البخارِ.

«جيِّدةٌ، شكرًا!» جاءَتْ صيحتُهَا واطئةً جوابًا عنِ السُّؤال.

وهكذا إلى الأمام تقدَّمُوا مثل حشراتٍ طويلةِ الأرجل عبر قاع البحرِ، والأرضُ أمامَهم تزدادُ انحدارًا شيئًا فشيئًا، وهنا وهناك ارتفعت جبالٌ عظيمةٌ بخضرةٍ

داكنةٍ؛ قممُها كانت مرَّةً جُزرًا صغيرةً يهبطُ النَّاس عليها، ويتسلَّى الأطفال بالسِّباحة في أنحائِهَا.

«لن يحدثَ مرَّةً أخرى مطلقًا أن أغامرَ وأسبحَ في الماءِ العميقِ،» أعلن سنيف وهو يرتعِشُ. «مجرَّدُ التَّفكيرِ في أنَّ هذا كلّه في الأسفل!» زمَّ عينيه ممعنًا النَّظرَ في شقٍّ مظلمٍ ما زال فيه بعضُ الماء، وبلا أدنى شكٍّ، كان يعجُّ بحياةٍ ما تحت الماء.

«لكنَّهُ جميلٌ على الرَّغمِ من أنَّهُ مخيفٌ،» قال سنفكين. «ولا أحد أبدًا طرق هذا الموضع قبلَنَا! ها، ما ذاك الذي هناك؟»

«صندوق كنزٍ!» زعق سنيف. «أوه! هيَّا نذهب ونلقِي نظرةً!»

«في جميع الأحوال نحن لا نستطيع حمله معنا،» قال السّنورك. «انسَ أمرَهُ. أتوقَّعُ أن نجدَ المزيدَ من الأشياءِ الغريبةِ قبل أنْ ننتهيَ من هذا المكان.»

بدأوا الآنَ يتحرَّكونَ بين صخورٍ سوداءَ متعرِّجَةٍ، واضطرُّوا إلى التَّقدُّم بحذرٍ شديدٍ خشيةَ أن تعلقَ عصيُّهم فيها. فجأةً في الظُّلمةِ أمامهم لاح لهم شكلٌ ضخمٌ قاتمٌ.

«ما ذاك؟» شهق مومين ترول وهو يتوقَّف فجأةً بحيث كاد يسقط على أنفهِ.

«ربَّما هو شيءٌ يعضُّ!» ناح سنيف بقلقٍ.

ببطءٍ دنَوا وأمعنُوا النَّظر في ذلك الشَّيء من وراء صخرةٍ.

«سفينة!» هتف السّنورك. «حطامُ سفينةٍ!»

ياه! كم بدَتْ بائسةً تلك السَّفينةُ المسكينةُ! ساريتُها مكسورةٌ، وأصدافُ البحر تحجبُ هيكلَها المتعفِّنَ. أشرعتُها ومعدَّاتُها جرفها التَّيَّار بعيدًا منذُ وقتٍ طويلٍ، وتمثالُ مقدِّمتها كان متشقِّقًا ومشوَّهًا.

«أتظنُّون أنَّ فيها أحدًا؟» همسَتِ الآنسة سنورك.

«أتوقَّع بأنَّ من فيها أنقذتهم قواربُ النَّجاة،» قال مومين ترول. «هيا نمضِي! هذَا فظيعٌ!»

«انتظِرْ دقيقةً،» استمهلَهُ سنيف وهو يتخلَّى عن مطوالتَيهِ ويقفزُ، «أرى شيئًا ذهبيًّا... شيئًا يلمعُ...»

«تذكَّر حادثةَ العقيق والسُّحليَّةَ العملاقَةَ!» حذَّره سنفكين. «خيرٌ لك حتمًا أن تتركَهُ بحالِه!»

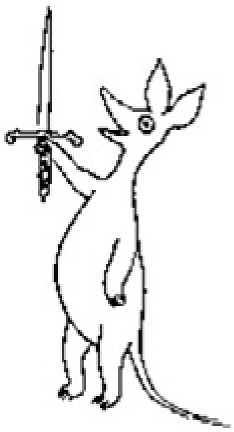

لكنَّ سنيف انحنى وانتزعَ من بين الرَّمل خنجرًا ذهبيَّ المقبضِ. كان مرصَّعًا بحجارة الأوبال العقيقيِّ، ولمعَ مثلَ ضوءِ القمر، ونصلُه شعَّ بوميضٍ باردٍ. رفع سنيف ما وجدَه وصاحَ فرحًا بحماسةٍ.

«أوه، جميل جدًّا!» هتفَتِ الآنسة سنورك وفقدَتْ توازنَها تمامًا. تأرجحت إلى الوراء والأمام، وفجأة سقطت على طرف

السَّفينة، وانزلقت نحو العنبر. ندَّت عن مومين ترول صرخةٌ واحدةٌ واندفعَ لإنقاذِهَا.

احتجزَ سطحُ السَّفينةِ الزَّلِقُ اندفاعَه قليلًا، لكن سرعان ما تداركَ الأمرَ وانبرى ينظرُ في جوفِ العنبرِ المظلمِ. «أنتِ هناك؟» ناداها بقلقٍ.

«نعم، أنا هنا،» هسهَستِ الآنسة سنورك.

«أنتِ بخير؟» سألها وهو يقفزُ نزولًا إليها، ليكتشفَ مصدومًا أنَّ الماءَ وصل إلى وسطه، وأنَّهُ يفوح برائحةٍ آسنةٍ مروِّعةٍ.

«أنا بخير،» قالتِ الآنسة سنورك، «خائفةٌ كثيرًا فقط.»

«سنيف حشرةٌ خالصَةٌ،» همهَمَ مومين ترول بشراسَةٍ. «يسعى دائمًا إلى الجَري وراءَ أيِّ شيءٍ يلمعُ ويومضُ.»

«إيه! أنا أفهمه،» قالت الآنسة سنورك. «في الحُلي متعةٌ كبيرةٌ، خصوصًا المصنوعةُ من الذَّهب والمجوهراتِ. ألا تظنُّ أنَّنا قد نجدُ مزيدًا من الكنوزِ هنَا...؟»

«المكانُ مظلمٌ جدًّا،» أجاب مومين ترول، «وقد تكون فيه حيواناتٌ خطرةٌ.»

«نعم، أفترضُ أنَّك على حقٍّ،» قالَتِ الآنسة سنورك بإذعان. «كُن مومين ترول لطيفًا وساعدني على الخروجِ من هنا.»

وهكذا عملَ مومين ترول على رفعِهَا نحو حافَّةِ الفتحَةِ. فسارعت الآنسة سنورك إلى تفحُّصِ مرآتها لتتأكَّدَ من أنَّها لم تنكسرْ، أوه، الحمد لله، ما زالت سليمة، والياقوتُ ما زال يرصِّع ظهرَهَا. لكن بينما هي تصلِّحُ زينتها أبصرت في المرآةِ صورةً مخيفَةً. كان هناك العنبرُ المظلمُ، وهناك مومين ترول يهمُّ بالصُّعود، أمَّا في الخلف، في زاوية كالحة، فظهر في المرآة شيءٌ آخرُ. شيءٌ يتحرَّكُ. شيءٌ أخذَ يزحَفُ ببطءٍ مقتربًا أكثر فأكثرَ من مومين ترول.

طرحَتِ الآنسة سنورك مرآتها، وصاحَتْ بكل ما أوتِيتْ من قوَّةٍ: «انتبهْ! هناك شيءٌ ما خلفَكَ!»

نظر مومين ترول من فوق كتفِهِ وما رآه كان أخطبوطًا ضخمًا، أخطرُ أنواع مخلوقاتِ أعماقِ البحرِ، يتلوَّى ببطءٍ خارِجَ ركنٍ ميمِّمًا نحوه. حاول يائسًا أن يتسلَّق ويمسكَ يدَ الآنسة سنورك، لكنَّه انزلقَ على الألواحِ الخشبيَّةِ اللزجةِ، وطاح في الماءِ ثانيةً. في هذه الآونة جاءَ سنفكين والآخرونَ إلى سطح السَّفينة ليرَوا ماذا يحدث، وحاولوا أن يطعَنُوا الأخطبوط بعصيِّهم، لكنَّها لم

تكن ذات أدنى تأثيرٍ عليه؛ واصَلَ الأخطبوط زحفَهُ العنيدَ مقتربًا من مومين ترول، ومجسَّاتُه الطَّويلةُ تتلمَّسُ فريستَهُ.

فجأةً، أشرقَتْ فكرةٌ في رأس الآنسة سنورك. غالبًا ما اعتادَتِ اللعبَ بالمرآةِ في الشَّمس، مسلِّطةً انعكاسها في عيني أخيها لتبهرَه. فسارعت إلى رفع مرآتها

المرصَّعةِ بالياقوت وحاولت القيام بالشَّيء نفسِهِ مع الأخطبوط، ولكن مسلِّطةً على عينيه شعاع المُذنَّبِ بدلَ الشَّمسِ. وجاءَتِ النَّتيجةُ ناجحةً جدًّا. تسمَّر الأخطبوط في الحال، وبينما هو منبهرٌ ولا يدري ما العمل، تسلَّق مومين ترول مستعينًا بمطوالتيه ورفعه الآخرون إلى السَّطح.

ابتعَدوا عن تلك السَّفينة المخيفة من غير أن يهدِرُوا أيَّ وقتٍ، وبالكاد تنفَّسُوا الصُّعداء قبل أن يصبحُوا على مسافةِ أميالٍ منها.

عندئذٍ قال مومين ترول للآنسة سنورك: «لقدْ أنقذْتِ حياتي! وبطريقةٍ ذكيَّةٍ جدًّا أيضًا! سأطلب من سنفكين أن يؤلِّفَ قصيدةً على شرفكِ، إذ أخشى أنَّني لا أتُقن كتابة الشَّعر بنفسِي.»

غضَّتِ الآنسة سنورك بصرها حياءً، وبدأَ لونُها يتغيَّرُ من السُّرورِ.

«أسعدني كثيرًا أن أفعلَ،» همست. «وأنا على أُهبة الاستعدادِ لإنقَاذِ حياتك ثماني مرَّاتٍ في اليوم لو تسنَّى لِي ذلك.»

«وأنا لن أمانع أن تهاجمني ثمانيةُ أخطبوطاتٍ يوميًا لو استطَعْتُ، لتأتي نجاتي منها على يدَيكِ،» أجاب مومين ترول بتودُّدٍ.

«إذا انتهيتما منَ الثَّرثرةِ،» قاطعهما سنيف، «ربَّما يمكننا أن نتابعَ السَّيرَ.»

أصبح الرَّمل الآن أكثرَ استواءً، وكانت هناك أصدافٌ هائلةُ الحجم، بقرونٍ ولوالبَ، وبأكثرِ الألوان روعة، مثل الأرجواني، وزرقة منتصَفِ الليل، واخضرارِ البحر، منثورةً في أرجاءِ المكان كلِّه.

رغبَتِ الآنسة سنورك في البقاء لتتأمَّل كلَّ واحدةٍ منها بإعجاب، وتستمع إلى نداءِ البحر الكامن فيها، لكنَّ السّنورك حثَّها على الإسراع.

كانت هناك سراطينُ هائلةٌ تنزلق ذهابًا وإيابًا بين الأصدَافِ، وهي تتحاور مع بعضها عن اختفاءِ الماءِ العجيبِ. تساءلت عمَّن استولى على الماء، ومتى يمكن أن يعودَ. «الحمد لله أنا لست قنديلَ بحرٍ!» قال أحدها. «بلا ماءٍ قناديلُ البحرِ ليسَتْ إلَّا لطخًا صغيرةً بائِسةً، أمَّا نحن فنبقى سعداءَ طبعًا في الحالتين على حدٍّ سواء.»

«أشعرُ بالأسف الشَّديد على كلِّ من لم يُخلَقْ سرطانًا بحريًا،» قال سرطانٌ آخرُ. «محتملٌ جدًّا أنَّ نضوبَ البحر هذا دُبِّر عمدًا خصيصًا لنا، لنحظَى بمساحةٍ أوسع لنعيش فيها.»

«يا له من تفكيرٍ سديدٍ! ما المانعُ من وجود عالَمٍ لا تسكُنه إلَّا السَّرطانات؟» هتف ثالثٌ وهو يلوِّح بمخالبه.

«مخلوقاتٌ قانعةٌ بنفسها!» غمغَمَ سنفكين. «حاوِلِي أن تبهري عيونَها بالمرآة، لِنرَى إذا كانت عندئذٍ تعرف ما العمَل.»

ثبَّتَتِ الآنسة سنورك انعكاسَ المُذنَّبِ مرَّةً أخرى، وسلَّطته على عيونِ السَّرطانات. ساد شغبٌ فظيعٌ، وأسرعت السَّرطانات تتخبَّطُ بجنون في جميع النَّواحي وهي تثرثرُ بخوفٍ، وتصطدمُ ببعضها بجنونٍ، ثمَّ دفنت رؤوسها في برَكِ الماء الضَّحلةِ.

ضحكَ مومين ترول ورفاقه كثيرًا وتابعُوا طريقهم، ثم بعد فترة فكَّر سنفكين في عزف لحنٍ. لكن لم يخرُجْ من الهارمونيكا صوتٌ واحدٌ؛ فقد علاها الصَّدأ من البُخَارِ. «أوه يا ربِّي!» غمغَمَ بحزنٍ، «هذا تقريبًا أسوأُ شيءٍ يمكن أن يحدُثَ.»

«سيصلِّحُها لك بابا عندما نصلُ إلى البيت،» واسَاه مومين ترول. «في وسعهِ إصلَاحُ أيِّ شيءٍ، إذا انتهَى إليه.»

امتدَّ قاعُ البحر أمامهم من الاتجاهاتِ كافَّةً، البحرُ الذي كان حافلًا بملايين الأطنانِ مِنَ الماء منذُ بدايَةِ الحَياةِ.

«وجودُنا هنا مهيبٌ كما تعلمُون،» قال السّنورك. «لا بدَّ من أنَّنا الآن قريبون جدًّا من أكثر أجزَاءِ المحيط عمقًا.»

لكن، عندما وصلوا إلى الهوَّةِ الأعظم على الإطلاق لم يتجاسَرُوا على النُّزول. أطرافُها انحدرت بشكل حادٍّ وقاعها حجبته عتمةٌ خضراءُ. وقد لا يكون هناك قرارٌ لها! ولعلَّ أكبرَ الأخطبوطَاتِ في الدُّنيا تعيشُ في الأسفل هناك، ترقُدُ وتتكاثرُ في الوحل اللزجِ؛ مخلوقاتٌ لم يسبق أن رآهَا أحدٌ قطُّ، وأصعب بكثير من تخيُّلِها. مع ذلك حدَّقَتِ الآنسة سنورك بشوقٍ في قوقعَةٍ ضخمةٍ جدًّا وجميلَةٍ كانت على شفير الهوَّةِ تمامًا. كانت ذاتَ لونٍ باهتٍ رائعٍ، لا يمكنُ العثورُ عليها إلَّا في أعماقِ البحر حيث لا ينفذُ الضَّوء، وباطنُها القاتمُ يتوهَّجُ بطريقةٍ مغريةٍ. رنَّمَتِ القوقعةُ لنفسِهَا بصوتٍ رخيمٍ أغنيةَ البحْرِ التي بعمرِ الزَّمنِ.

«أوه!» تنهَّدَتِ الآنسةُ سنورك. «كم أودُّ أن أقيمَ في مثلِ تلكَ القوقعة. أريدُ دخولَها لِأرَى من يهمسُ هُناك.»

«إنَّهُ لا شيء سوى صوت البحرِ،» فسَّر مومين ترول. «كلُّ موجَةٍ تموت على

الشَّاطئِ تغني أغنيةً صغيرةً لقوقعَةٍ ما. لكن، يجبُ ألَّا تدخلي فيها؛ لأنَّ جوفَها متاهةٌ وقد لا تخرجي منها أبدًا ثانيةً.»

في النِّهايةِ اقتنعَتِ الآنسة سنورك، وتابعَتِ المشيَ. بدأوا يسرعُونَ لأنَّ الغسَقَ لاحَ في الأفقِ ولَمْ يعثُرُوا بعدُ عَلَى أيِّ مكَانٍ صالِحٍ للنَومِ. لَم يروا سوَى خطوطٍ باهتَةٍ من أشكَالِهم خِلَالَ ضبابِ البحرِ الرَّطبِ، والدُّنيا من حولِهم صامِتَة على نحوٍ خَارِقٍ للطبيعَةِ. لا أثرَ لأصواتٍ خفيفَةٍ تبعَثُ الحياةَ مساءً في اليَابسَةِ: كوقعِ خطواتِ حيوانٍ صغيرٍ، أو أوراقِ أشجَارٍ تهتزُّ مع نسيمِ اللَيلِ، أو بكاءِ طفلٍ، أو حجرٍ زحزحته قدمُ أحدِ الأشخاص.

طبعًا لن تشتعِلَ أيُّ نارٍ في تلك الأرض الرَّطبةِ، ولم يتجاسروا على النَّوم وسط الأخطار المجهولة التي قد تكون مترصِّدةً لهم في مكانٍ ما، لذا قرَّروا في النِّهاية إقامَةَ معسكرِهم على رأس صخرةٍ عاليةٍ مدبَّبٍ بلغوه مستعينين بمطوالاتِهم. كان لزامًا عليهم أن يواصلوا المراقبةَ والحراسَةَ، فأخذَ مومين ترول المناوبَةَ الأولى، وقرَّرَ أن يأخذ أيضًا دورَ الآنسة سنورك، وبينما تقوقَعَ الآخرون وناموا، جلس يحدِّقُ في قاع البحر المُقفرِ. كان مضاءً بوهج المُذنَّبِ الأحمرِ، وعبر الرَّملِ لاحَتِ الظِّلال مثل القطيفَةِ السَّوداءِ.

فكَّر مومين ترول في الأرض، وكيف أنَّها بلا ريبٍ تشعر بالخوفِ، وتلك الكرةُ النَّاريَّةُ العظيمَةُ تدنُو منها أكثر فأكثرَ. ثمَّ فكَّر كيف أنَّه أحبَّ كلَّ شيءٍ حبًّا جمًّا؛ الغابةَ والبحرَ، المطرَ والرِّيحَ، أشعَّةَ الشَّمسِ والحشيشَ والعشبَ، وكم أنَّه منَ المستحيلِ أنْ يعيشَ من دونِها، وهذا جعلَ الكَرْبَ الشَّديد يعتصرُه. كَرْبٌ شديدٌ، شديدٌ جدًّا. ثمَّ بعد فترةٍ فارقَتْهُ مخاوفُهُ.

«نعم، ستعرفُ ماما ما يجب القيام به،» قالَ لنفسِه.

10

عن مجموعةِ طوابعِ هيميولِن، وعن سربٍ من الجراد وإعصارٍ هائلٍ

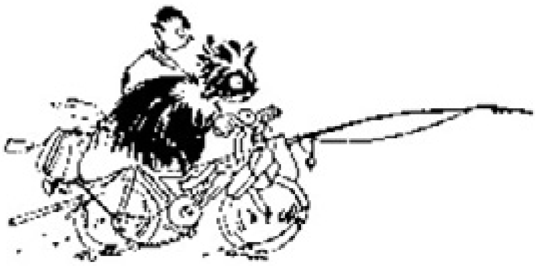

عندما استيقظ سنيف في اليوم التَّالي كان أوَّلُ ما قاله: «موعدُه غدًا!»

«أصبح كبيرًا جدًّا!» علَّقت الآنسة سنورك. «بحجمِ بيتٍ تقريبًا.»

تلاشى البخارُ تحت وطأة حرارة المُذنَّبِ، وأتاح لهم هذا أن يرَوا الجَانِبَ الآخرَ مِنَ البحر، حيثُ ارتفعَ قاعُهُ شيئًا فشيئًا نحو الشَّاطئِ ثانيةً. لم تكن المسافة بعيدةً. «أشجارٌ!» صاح سنفكين وهو يشير، فانطلقوا كلُّهم بعجلةٍ كبيرةٍ ليصلوا إلى هناك، حتَّى من غير أن يتريَّثُوا ليستعينُوا بمطوالاتهم.

«أشجارُ حورٍ فضِّيةٌ!» لهث مومين ترول، وهو يخطو نحو الشَّاطئ الرَّمليِّ. «لا يمكن أن يكون وادي المومين بعيدًا الآن.»

بدأ السِّنورك يصفِّرُ وشاع السُّرور فيهم كلِّهم لأنَّهم عادوا إلى اليابسة، وتبادلُوا العناقَ من شدَّةِ ابتهاجِهم.

وسرعان ما حثُّوا السَّير ميمِّمين الدِّيار.

بينما هم يمضون قدمًا صادفوا ترول منزلِي يقبِلُ نحوهم راكبًا دراجَةً. كان أحمرَ الوجهِ من الحرارةِ (لأنَّ التُّرولَ المنزليَّ لا يستطيع أبدًا أن ينزعَ معطف الفروِ). على حمَّالةِ الدَّرَّاجةِ وضع حقيبتين أو ثلاثَ، ومن مقوديها تدلَّت حزمٌ ورزمٌ من مختلف الأشكالِ والأنواعِ، وعلى ظهره جثمَ ترول منزلِيٌّ رضيعٌ في كيسٍ.

«أنت راحلٌ؟» صاح سنيف.

ترجَّلَ التُّرول المنزلي من درَّاجته وقال: «يحقُّ لك أن تسألَ أيُّها المخلوقُ الصَّغيرُ. جميع الذين يعيشون في حيِّ وادي المومين يهمُّون بالرَّحيل. لا أظنُّ أنَّ هناك مخلوقًا واحدًا ينوي البقاءَ منتظرًا سقوطَ المُذنَّبِ.»

«كيف يحدث أنَّكم كلَّكم تعتقدون أنَّ المُذنَّبَ سيسقط هناك؟» استفهمَ السّنورك.

«حسنًا، يمكنكَ القول إنَّها معلوماتٌ عن طريقِ منقار،» أجاب التُّرول المنزليُّ. «أرسل فأر المسك المعلومات بوساطة الطِّيور، وسقوط المُذنَّبِ في وادي المومين حقيقةٌ واضحةٌ جدًّا لأيِّ ترول منزلي يحترمُ نفسَهُ.»

«أوه، بالمناسبة،» بدأ مومين ترول. «أعتقدُ أنَّ صلةَ قرابةٍ بعيدةٍ تربط بين أهلنا، وعندما غادرتُ البيتَ طلبت منِّي أمِّي أن أبلِّغكُم تحياتها الطَّيِّبة إذا حدث والتقَينا.»

«شكرًا، شكرًا،» قال التُّرول المنزلي بسرعةٍ. «وبلِّغ أمَّك المسكينة تحياتي. لعلَّ هذه آخر مرَّةٍ أكون فيها قادرًا على إرسال التَّحيةِ لها، فأمُّك وأبوك رفضا رفضًا قاطعًا مغادرةَ الوادي. قالا إنَّهما يريدان الانتظار إلى أن تعودَ أنت وسنيف!»

«يجدر بنا أن نسرعَ إذًا،» هتف مومين ترول بنبرةٍ قلقَةٍ. «إذا صدف ومررتَ بمكتب بريدٍ أيمكن رجاءً أن ترسِلَ برقيَّةً لأهلي تقول إنَّنا في طريقنا إلى البيت وقادمون بأقصَى سرعةٍ؟ اجعلهَا برقيَّةَ سلاماتٍ رجاءً!»

«نعم، سأفعلُ،» وعَده التُّرولُ المنزليُّ وهو يعتلي درَّاجته. «حسنًا، وداعًا، وعسى أن يرعاكُم حامي جماعة التُّرول المنزلي وجماعة المومين ترول!» ثمَّ قادَ الدَّراجة بهمَّةٍ وابتعدَ.

«أسبقَ لكم قطُّ أنْ رأيتم مثل هذه الأمتعةِ الكثيرَةِ!» هتف سنفكين. «والشَّاب المسكين بدا مستنزفًا أيّما استنزافٍ. أوه، أليس من الرَّائع ألَّا يملكَ المرءُ شيئًا!؟» ثم قذفَ قبّعته الخضراءَ القديمةَ في الهواءِ بمرحٍ.

«لا أدري عن هذا،» قال سنيف وهو يتأمَّلُ بشغفٍ خنجرَهُ الصَّغيرَ المرصَّعَ بالجواهرِ. «لطيفٌ أن تمتلك أشياءَ جميلةً تعودُ لكَ وحدَكَ.»

«علينا الآن أن نُتابِعَ المشيَ،» حثَّهم مومين ترول. «إنَّهم ينتظروننا في البيت، وأنا واثقٌ من أنَّ ذلك ليس مُسلِّيًا كثيرًا لهم.»

قابلُوا في طريقهم حشودًا من المخلوقاتِ الهاربة؛ بعضُها يمشي، بعضُها يقود السَّيارات، بعضُها يمتطي الخيول، بل حتَّى بعضُها جلبَ معه بيته على عرباتِ اليَدِ. وكلُّهم ما انفكُّوا ينظرون إلى السَّماء متخوِّفين، وبالكاد وجد أيٌّ منهم الوقت ليتوقَّف ويدردشَ.

«غريبٌ،» غمغم مومين ترول، «إذ يبدو لي أنَّنا لسنا خائفِينَ بقدرِ تلك المخلوقَاتِ، هذا مع أنَّنا ذاهبون إلى أخطر مكانٍ على الإطلاق، أمَّا هم فيغادرونَهُ.»

«هذا لأنَّنا في منتهى الشَّجاعة،» قال سنيف.

«أممم،» همهَمَ مومين ترول، «بل أغلبُ ظنِّي أنَّ ذلك يعودُ لأنَّنا بطريقةٍ ما تآلفنا مع المُذنَّبِ. كنَّا أوَّلَ من اكتشفَ أنَّه قادمٌ. شاهدنَاهُ يكبر من مجرَّد نقطةٍ صغيرةٍ إلى شمسٍ عظيمةٍ... يا لتلكَ الوحدة التي تكتنفه هناك في الأعلى والكلُّ خائفٌ منه!»

وضعَتِ الآنسة سنورك يدها بيد مومين ترول. «على أيِّ حال،» قالت، «ما دمْتَ لست خائفًا فأنا أيضًا لستُ خائفَةً!»

✽ ✽ ✽

بعد فترة وجيزة توقَّفوا ليتناولوا الغداء، وهناك كان يجلس هيميولن وعلى حضنه ألبومُ طوابعَ. «يا لهذا الصَّخب والاندفاع!» انبرى يحدِّثُ نفسه. «حشودٌ من النَّاس أينما نظرتُ، ولا أحد منهم يتبرَّعُ بإطلاعي على سببِ هذه الإثارةِ العظيمَةِ.»

«صباحُ الخيرِ،» حيَّاهُ مومين ترول. «أفترضُ أنَّك لست بأيِّ حالٍ على صلةِ قُربى بالهيميولن الَّذي قابلناه في الجبالِ المهجورةِ. هو يجمعُ الفراشاتِ.»

«لا بدَّ من أنَّه ابنُ عمِّي شقيقِ أبي،» أجاب الهيميولن. «إنَّهُ غبيٌّ جدًّا. نحن الآن لسنا على تواصلٍ. أنهيْتُ علاقتي بهِ.»

«ولماذا فعلْتَ ذلك؟» سأله سنيف.

«هو لا يهتمُّ بأيِّ شيء سوى فراشاتِه العتيدة،» ردَّ الهيميولن. «يمكن أن تتصدَّعَ الأرض تحت قدميه ولا يبالي قيدَ أُنملة.»

«هذا بالضَّبط ما سيحدث الآن،» قال السّنورك. «على وجه الدِّقة غدًا مساءً في السَّاعة 8.42»

«ماذا؟» هتفَ الهيميولن. «حسنًا، كما قلتُ، كان هناك هرجٌ ومرجٌ مفرطٌ يجري في الأنحاء. قضيتُ أسبوعًا كاملًا أصنِّف طوابعي، كانت ثقوبُها وعلاماتُها المائيَّةُ وما إلى ذلك مكدَّسةً بأكوامٍ مختلفَةٍ، ثمَّ حدث ما حدث: فرَّ أحدُهم ومعه طاولتي التي أعملُ عليها. شخصٌ آخرُ اختطف الكرسيَّ من تحتي. وها أنا هنا أجلسُ ومعي طوابعي في فوضًى مُطلقةٍ، ولا أحد تكلَّفَ مشقَّة إعلامي عن السَّبب.»

«اسمعني يا هيميول،» قال سنفكين بصوتٍ واضحٍ ومتأنٍ. «هذا بسببِ مُذنَّبٍ سيصطدم بالأرض غدًا.»

«يصطدم؟» قال الهيميولن. «ألهذَا أيَّ علاقةٍ بهوايةِ جمعِ الطَّوابع؟»

«لا، لا علاقة بينهما،» أجاب سنفكين. «لهذا علاقةٌ بمُذنَّبٍ فقط؛ نجمٌ جامحٌ بذيلٍ. وإذا جاء إلى هنا لن يتبقَّى لك الكثيرُ من مجموعة طوابِعكَ.»

«لِتحمِني السَّماء!» شهقَ الهيميولن، وبرجائِهِ غيرِ المنطقيِّ كثيرًا هذا لملَمَ ثوبَهُ، وسألَ عمَّا ينبغي فعله تاليًا (جماعة الهيميولن تلبس ثوبًا دائمًا. لا أحد يعرف لماذا. ربَّما لأنَّ فكرة ارتداءِ بنطلونٍ لم تخطر على بالِها قطُّ).

«رافِقْنَا،» اقترحَتِ الآنسة سنورك. «وجدْنَا كهفًا حيث يمكنكَ أنتَ ومجموعةُ طوابعك الاحتماءَ فيه.»

❀ ❀ ❀

على هذا النَّحو رافق الهيميولن المجموعةَ العائدَةَ إلى وادي المومين. مرَّةً اضطروا إلى الرُّجوع عدَّة أميالٍ للبحث عن طابعٍ نادرٍ طار من ألبومه، ومرَّةً

تشاجر مع السّنورك (الذي أصرَّ على أنَّ ذلك مجرَّدَ نقاشٍ مع أنَّ الآخرين رأوا أنَّه شجارٌ) عن شيءٍ نسيَ أحدٌ أن ينجزَه. لكن إجمالًا انسجموا جيِّدًا مع الهيميولن.

تركوا الطَّريق الرِّيفي منذُ وقتٍ طويلٍ. وكانوا قد وصلوا إلى غابةٍ هائلةٍ من أشجار الحور والبلُّوط وبعض أشجار الإجاصِ المنتشرةِ هنا وهناك، عندما تسمَّر سنيف ورفع أذُنَيه. «أتسمعونَ أيَّ شيءٍ؟» سألَهم.

تناهى إليهم وقعُ طنينٍ وأزيزٍ خافتَين جدًّا جدًّا. ثمَّ ازداد الصَّوت اقترابًا إلى أن أصمَّهم الطَّنين. أحكمَتِ الآنسة سنورك قبضتَهَا على يدِ مومين ترول.

«انظروا!» زعق سنيف.

فجأةً أظلمت السَّماء الحمراءُ بغيمةٍ من مخلوقاتٍ طائرةٍ، بادرت إلى الهبوط أوَّلًا، ثمَّ غاصَت في الغابةِ مباشرةً.

«هذا سربٌ منَ الجرادِ!» صاحَ السّنورك. فاختبَأوا وراءَ حجرٍ، واسترقُوا النَّظرَ بحذرٍ إلى قُطَّاع الطُّرقِ الهمجيِّين؛ أولئك الذين حوَّمُوا بالملايين بين أغصانِ الأشجار.

«أجُنَّ جنونُ الجراد؟» همسَتِ الآنسة سنورك.

«نحن... سنأكُلُ!» أنشدَتِ الجرادةُ الأقرب.

«نحن... نأكُلُ!» أنشدَتْ جرادةٌ أخرى.

«نحن... نحن... نأكلُ!» ردَّدَ سربُ الجرادِ الذي كان يقضمُ ويمزِّقُ ويعضُّ كلَّ شيءٍ على مرأى البصرِ.

«النَّظرُ إلى هذا الجراد يجعلني أشعرُ بالجوع،» قال الهيميولن. «هذا أسوأُ من البلبلَةِ الأخيرة. آمل حقًّا أنَّه لا يأكل ألبوماتِ الطَّوابع.»

«أيلمحُ أيٌّ منكم الجندبَ الموسيقِيَّ الذي كان يحتسي الجِعةَ في تلك الحفلَةِ الرَّاقصَةِ؟» استفسرَ سنفكين.

«ذاك كان جندبًا أليفًا، من جنادبِ المروج،» أجاب السِّنورَك. «أمَّا هذا السَّرب فجرادٌ مصريٌّ برِّيٌّ.»

كان من المذهل التَّفرُّجُ على الجراد، وهو يلتهم الأخضر واليابس بتلك السُّرعة الهائلة. وفي غضون فترةٍ قصيرةٍ عريت الأشجارُ المسكينَةُ. لم تبقَ عليهَا ورقةٌ واحدَةٌ، ولا حتَّى نبتة حشيشٍ.

تنهَّد مومين ترول. «سمعْتُ أنَّ الجرادَ يدمِّرُ البلاد دائمًا قبلَ أيِّ كارثَةٍ رهيبَةٍ.»

«ما هي الكارثَةُ؟» سأله سنيف.

«شيءٌ سيِّئٌ بقدرِ ما يمكن أن يبلغَ السُّوءُ،» أجاب مومين ترول. «مثل الزَّلازل، والأمواج العاتية، والبراكين والأعاصير والطَّاعون.»

«بكلمةٍ أخرى؛ هرجٌ ومرجٌ،» قال الهيميولن. «المرءُ لا يحظَى أبدًا بالسَّلام.»

«كيف هي الحال في مصرَ؟» صرَّ سنيف مخاطبًا الجرادةَ الأقرب.

«أوه، مؤنٌ شحيحةٌ، كما ترى،» أنشدَتِ الجرادةُ. «لكن انتبهُوا أيُّها الرِّفاق الصِّغار، عليكم أن تحترسُوا من الرِّيح الرَّهيبة!»

«نحن... أكلْنَا! أكلْنَا!» أنشدَ سرب الجرادِ، ثم بدفعةٍ من نقيقٍ ونعيقٍ وزعيقٍ طار السَّربُ مبتعدًا عن هيكلِ الغابَةِ العظميِّ الذي خلَّفَه.

«يا لها من مخلوقاتٍ بغيضةٍ،» هتف سنفكين، ومشَى الموكبُ الصَّغيرُ باكتئابٍ خلال الخرابِ الأبكَم الذي سبَّبه الجرادُ.

«أنا عطشى!» ناحَتِ الآنسة سنورك. «ألمْ نقتربْ بعد؟ سنفكين اعزُفْ أغنية هيغلي بيغلي. فهذا بالضَّبط ما أشعر به الآن.»

«الهارمونيكا متصدِّعةٌ،» اعترضَ سنفكين. «إنَّها لا تصدِرُ إلَّا نغمتين فقط.»

«لنسمعهما إذًا،» أصرَّتِ الآنسةُ سنورك. فبدأ سنفكين يعزف:

هيغ... بيغ

درب... ملت

... أربع...

تقري...

على...

... باب

«أنا لم أُقِم لهذا العزفِ وزنًا كبيرًا،» قال الهيميولن بينما تثاقلُوا إلى الأمامِ على أقدامٍ متعبةٍ أكثر من أيِّ وقتٍ مضى.

في هذه الأثناء، بعيدًا في مصرَ وُلِد إعصارٌ، وسرعان ما أخذ يطيرُ على أجنحةٍ سوداءَ عبر الصَّحراء، يطلقُ صفيرًا مشؤومًا وهو ينطلقُ، وينقلُ معه الأعوادَ والقَشَّ ويغدُو أكثرَ سوادًا وقوَّةً بمرور الدَّقائقِ. بدأ يكنُسُ الأشجارَ في طريقه، ويقتلِعُ سقوفَ البيوتِ التي تعترضُه. ثم رمى نفسَه على طول البحر، وتسلَّق الجبال. وأخيرًا وصل إلى الأرض التي يقع فيها وادي المومين.

سنيف الذي يملكُ أذنين طويلتين هو أوَّل من سمعه. «لا بدَّ من أنَّ هذا سربُ جرادٍ آخرُ،» قال. فرفعَ رفاقه أنوفَهم واستمعوا.

«إنَّها العاصفةُ هذه المرَّة،» قالَتِ الآنسة سنورك. وكانتْ محقَّةً. فتلك كانتِ العاصفَةُ العظيمة التي حذَّرهم الجرادُ منها.

جاءت نذُر الإعصارِ تعوي خلال جذوع الأشجارِ العاريَةِ. انتزعَتِ العاصفةُ ميداليَّةَ مومين ترول ونفختْهَا نحو قمَّةِ شجرةِ تنوبٍ. دحرجَتْ سنيف رأسًا على عقبٍ أربعَ مرَّاتٍ، وحاولَتِ الاستيلاءَ على قبَّعةِ سنفكين. تشبَّث

الهيميولن بألبومِ الطَّوابع وهو يشتُمُ ويدمدِمُ، ثمَّ دُحِرتِ المجموعةُ كلُّها عبرَ الغابةِ نحو أرضٍ بورٍ في العراءِ.

«يجب أن نستفيدَ من هذا بطريقةٍ أفضلَ،» صاح السّنورك. «ريحٌ قويَّةٌ كهذِه ولَا شَيءَ لنطيرَ بهِ!»

«وَلا شيءَ لنبحِرَ عليه أيضًا،» قالَ سنفكين، «وهذا أكثرُ أهميَّةً.»

زحفُوا تحتَ جذورِ شجرةٍ ليتباحثُوا في الأمرِ.

«في طفولتي صنعتُ طائرةً شراعيَّةً،» قال مومين ترول. «وطارتَ بطريقَةٍ جيِّدةٍ جدًّا...»

«المنطاد ليس فكرةً سيِّئةً،» قالَتِ الآنسة سنورك. «كان عندي مرَّةً منطادٌ أصفرُ يشبه النَّقانِقَ.»

في تلك اللحظة غاصَ إعصارٌ صغيرٌ تحتَ جذورِ الشَّجرةِ وقبض على ألبوم طوابعِ الهيميولن، وحوَّمَ به في الهواء. بعويلٍ مفجوع هبَّ الهيميولن واقفًا وانطلق ليسترجِعَ كنزَهُ. ترنَّح وتعثَّر، وقبضَتِ الرِّيحُ على طرف ثوبِهِ العريضِ وحملتهُ فوق نبات الخلنج. رفرف مبتعدًا مثل طائرةٍ ورقيَّةٍ عظيمَةٍ.

تأمَّله السّنورك وهو يفكِّرُ بعمقٍ وقال: «أعتقدُ أنَّ لديَّ فكرةً. اتبعوني.»

وجدوا الهيميولن على بُعدِ مسافة، وقد جلس يئنُّ بينه وبين نفسه بعدَ أنْ هيمَنَ اليأس عليه.

«هيميولي،» بدأ السّنورك. «ما نشهدُهُ هو كارثةٌ فظيعةٌ، لكن أتتلطف وتعيرُنَا ثوبَكَ لوقتٍ قصيرٍ. نريد أن نصنعَ منه منطادًا.»

«أوه! مجموعةُ طوابِعي!» ناح الهيميولن. «تعبُ حياتي، مجموعتِي الرَّائعة! نادرةٌ، فريدةٌ، لا تُضاهَى. الأفضلُ في العالم!»

«اسمعْ، هلَّا نزعتَ ثوبك لدقيقةٍ؟» قال السّنورك.

«ماذا؟» هتف الهيميولن. «أنزعُ ثوبي؟»

«نعم،» صاحوا كلُّهم. «نريد أن نصنعَ منه منطادًا.»

انتفخَتْ أوداج الهيميولن من الغضبِ. «هنا أجلسُ حزينًا،» قال، «بعد حادثٍ رهيبٍ لم تسبِّبه سوى كارثتكم العتيقة المتعفِّنة. والآن تريدون الاستيلاءَ على ثوبي!»

«اسمعْ،» واجههُ السّنورك. «سننقذ ألبومَ طوابعك إذا فعلْتَ ما نطلبُه منكَ. لكن أسرع! هذه ليست سوى بدايةُ الإعصار، إنَّها مثل نوبة تحذيريَّةٍ. عندما يأتي الإعصارُ الحقيقيُّ سنكون أكثرَ أمانًا في الهواء.»

«لا يهمُّني إعصاركُم ولا مُذنَّبُكم ولا مقدارَ قشَّةٍ،» صاح الهيميولن الذي ثارَتْ مشاعرُهُ وتحوَّلتْ إلى غضبٍ مستعرٍ. «عندما يتعلَّقُ الأمر بطوابعي...»

إلَّا أنَّ الفرصَةَ لم تسنَحْ له ليتابِعَ، إذ ارتموا عليه كلُّهم وبلمحِ البصر سحبوا ثوبَهُ من رأسِه. كان ثوبًا واسعًا جدًّا ينتهي بكشاكِشَ، ثوبٌ ورثهُ عن عمَّتهِ. ما كان عليهم سوى أن يربِطُوا ياقتَهُ وفتحتَي الذِّراعين ليصبحَ منطادًا مثاليًّا.

زمجرَ الهيميولن وشتمَ بعنفٍ، إنَّما لا أحد أعاره أيَّ اهتمامٍ، ففي الأفق كانوا يرونَ الإعصارَ الحقيقيَّ يقتربُ. بدا مثل سحابةٍ لولبيَّةٍ هائلَةٍ، واندفعَ يدوِّم فوق الأشجار، ويقذفها أرضًا كأنَّها عيدانُ ثقابٍ.

«تشبَّثُوا بكلِّ ما أوتيتم من قوَّةٍ،» صاح مومين ترول، وقبضُوا كلُّهم على كشاكشِ حاشية ثوب الهيميولن، وعقدُوا ذيولَهم معًا تحسُّبًا لأيِّ طارئ. فالإعصار قد وصل!

لفترةٍ طويلةٍ جدًّا لم يسمعوا أو يرَوا شيئًا. لكنَّ ثوبَ الهيميولن حملهم عاليًا، عاليًا في الهواء، حملهم فوق الأرضِ البورِ، فوق قممِ الجبَالِ والبُحيراتِ النَّاضبةِ، قدمًا وقدمًا طارُوا، وأقبلَ الغسقُ، ثمَّ الظَّلامُ، قبل أن تنقطعَ أنفاس الإعصارِ ويخمُدَ. أخيرًا وجدُوا أنفسَهم مستقرِّينَ في مكانٍ ما، واكتشفوا أنَّ المنطادَ علق بشجرَةِ كمثرى فارعةٍ.

«إيه! يا عجَبِي!» هتف مومين ترول. «أما زالَ الجميع هُنا؟»

«أنا هُنا،» قال الهيميولن، «,أرغب في أن أشيرَ الآن، قبل أن يطرأ أيٌّ شيءٍ آخر، إِلى أنَّني في المستقبل لن أشاركَ في هذه الألعابِ الطُّفوليَّة. إذا كنتم ستعبثون هكذا في الأنحاء، عليكم أن تفعلوا ذلك من دونِي.»

هذه المرَّة كان ما يشعرون به من إنهاك أقوى من أن يحاولوا شرح كلِّ شيء ثانيةً للهيميولن.

«أنا ما زلْتُ هنا، وما زالَتْ مرآتي معي أيضًا،» أعلَنَتِ الآنسة سنورك.

«وأنا ما زالت قبَّعتي معي وكذلك الهارمونيكا،» أعلمَهُم سنفكين.

«أمَّا كرَّاسَتِي فقد تكون في أيِّ مكان،» قال السِّنورك بصوتٍ مكتئبٍ، «وقد دوَّنْتُ فيها كلَّ شيءٍ يجبُ القيامُ به عندما يسقط مُذنَّبٌ. ماذا سنفعلُ الآنَ؟»

«حسنًا لا تهتمَّ لهذا في الوقت الحاضر، لكن أين سنيف؟» قال مومين ترول.

«هنا،» زمَّر صوتٌ واهنٌ، «إذا كان هذا أنا حقًّا وليس مجرّد قطعةِ حطَامٍ بائِسَةٍ خلَّفهَا الإعصارُ.»

«إنّه أنتَ بلا شكّ،» قال الهيميولن. «أنا أميِّزُ صريرَكَ في أيِّ مكان. وربَّما أستطيعُ استعادةَ ثوبي الآن.»

«أوه، بالتَّأكيد،» قال مومين ترول. «ونشكرُكَ لأنَّك سمحْتَ لنا باستعارته.»

تذمَّر الهيميولن ونفخ بينما حشرَ الثَّوبَ عبرَ رأسِهِ، ولحسْنِ الحظِّ لمْ يرَ في العتمةِ كيفَ تعامَلَ معَه الإعصارُ!

قضَوا ليلتهم في شجرَةِ الكمَّثرَى، متلاصِقَينِ. وكانُوا متعبِينَ جدًّا بسبَبِ مغامرَتهِم إِلى درجَةِ أنَّهم لم يستيقظوا إلَّا في السَّاعة الثَّانيةَ عشرةَ مِنَ اليومِ التَّالي.

11

عن جلسةِ قهوَةٍ، وعن الفرَارِ إلى الكهفِ وسقوطِ المُذنَّبِ

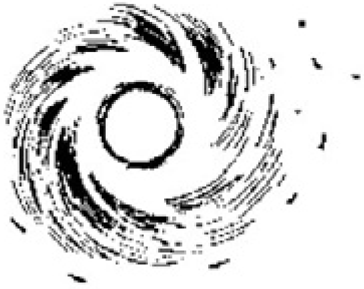

كان الجوُّ في السَّابعِ من تشرين الأوَّلِ هامدًا وحارًّا جدًّا. استيقَظَ مومين ترول وتثاءَبَ بعمْقٍ. بيدَ أنَّه سارَعَ إلى إغلاقِ فمِهِ بقوَّةٍ وفتَحَ عينيهِ عَلَى وسعِهِمَا.

«أتدركون أيَّ يومٍ هذَا؟» سألَ رفَاقَهُ.

«المُذنَّبُ!» همسَ سنيف.

ربَّاه، كم بدا هائلًا! تحوَّلَ لونُهُ الأحمرُ إلى أبيضَ مُصفرٍّ، تحيطُ به دائرةٌ من النِّيران المُتراقصةِ. وبدت الغابة كما لو أنَّها في حالة تأهُّبٍ ومنقطعةُ الأنفَاسِ... توارى النَّمل في بيوتِهِ، والطُّيورُ في أعشاشِهَا، وكلُّ واحدٍ من مخلوقاتِ الغابةِ الصَّغيرة الزَّاحفةِ التي لم تكن قد رحلَتْ وجدَتْ مكانًا للاختباءِ.

«ما الوقتُ؟» استفهم مومين ترول.

«العاشرةُ واثنتَا عشرةَ دقيقَةً،» أجابَ السّنورك.

لم ينبَسْ أحدٌ منهم بكلِمَةٍ أخرُى. غادرُوا الشَّجرة وانطلقُوا بأسرع ما يمكنهم نحو البيتِ.

الهيميولن وحدَهُ لم يكفَّ عن إصدار ضوضاءِ غضَبٍ خافتَةٍ بينَهُ وبين نفسِهِ، عنِ الطَّوابعِ تارةً، وعن ثوبِهِ التَّالف تارةً.

«عليكَ أن تسكُتَ،» واجهه السّنورك. «لدينا أمورٌ أكثرُ أهميَّةً تشغل بالنا.»

«أتعتقدون أنَّ المُذنَّبَ سيسقط في وادي المومين قبلَ وصولِنَا؟» همسَتِ الآنسَةُ سنورك.

«سنصلُ إلى هناك في الوقتِ المنَاسبِ،» أجابَ مومين ترول إلَّا أنَّ القلقَ لاحَ عليهِ. بالتَّأكيدِ لم يُغِزْ سربُ الجرَادِ على تلكَ الدَّربِ؛ لأنَّ الغَابَةَ حافظَتْ عَلَى خضرَتِهَا المعهودَةِ، والمنحدَرُ أمامَهم ما زال مُوشًّى بالزُّهور البيضاءِ.

«أترغبين في زهرةٍ لتضعيهَا وراءَ أذنك؟ سألَ مومين ترول.

«يا إلهي، لا!» هتفَتِ الآنسَةُ سنورك. «أنا أشدُّ قلقًا مِنَ التَّفكيرِ في أشياءَ كهذه.»

في هذه الأثناء تقدَّمَهم سنيف، وفجأةً سمعُوهُ يطلِقُ صيحةَ ابتهاجٍ.

«أفترضُ أنَّ هذا مزيدٌ من الهرَجِ والمَرجِ،» قالَ الهيميولن.

«يا هوه! هلو! استعجلُوا!» زعق سنيف. «اركضُوا، هيَّا!» ثمَّ وضعَ كفَّيه حول فمِهِ، وأطلق صفيرًا ثاقبًا.

بدأوا يَعْدُون بين الأشجار، يتقدَّمُهم مومين ترول. وبينما هو يجري تشمَّم الهواء، فعامت نحوه رائحةُ خَبْزٍ شهيَّةٍ. تناقص عدد الأشجار، ووقف مومين ترول فجأةً وصاحَ بدهشة وسعادةٍ.

في الأسفل انبسطَ وادي المومين. وفي وسطِهِ بينَ أشجار الحور والإجاص انتصبَ بيتُ المومين الأزرق. أزرقُ ومسالمٌ ورائعٌ كما غادرَه. وفي البيت كانت أمُّهُ تخبزُ باطمئنانٍ الكعْكَ والمُعجَّناتِ.

«الآن سيكونُ كلُّ شيءٍ علَى ما يُرام،» قالَ مومين ترول بسرورٍ، واضطرَّ من شدَّةِ تأثُرهِ إلى الجلوسِ.

«ها هو الجسرُ هناك!» أشارَتِ الآنسة سنورك، «وهناك شجرةُ الحورِ التي حدَّثتْنِي عنهَا، وقلْتُ إنَّهَا جيِّدةً للتسلُّقِ. وَيَا لَهُ مِنْ بيتٍ جَميلٍ!»

✽ ✽ ✽

كانَتْ ماما مومين في المطبخ تُزيِّنُ قالبَ كعكةٍ كبيرةٍ بقشورِ الليمونِ الصَّفراءِ وشرائحِ الكمثرى المُجفَّفةِ. وحوْلَهُ كُتبَتْ كلماتٌ بالشُّوكولاتة: إلى مومِينِي الغَالِي، وعلى قمَّةِ القالب نجمَةٌ برَّاقةٌ مِنَ السُّكَّرِ المعقُودِ.

وقفَتْ ماما مومين تصفِّرُ بهدوءٍ، وما بين حينٍ وآخرَ تلقي نظرةً من النَّافذةِ.

أمَّا بابا مومين فما انفكَّ يتجوَّلُ بعصبيَّةٍ من غرفَةٍ إلى غرفَةٍ سادًّا الطَّريقَ عَلَى ماما مومين. «يجبُ أنْ يكونُوا هُنَا قريبًا،» قَالَ، «إنَّهَا الواحدةُ والنِّصفُ.»

«سيظهرون في الوقت المناسب،» أجابَتْ ماما مومين بثقَةٍ. «انتظِرْ لحظَةً حتَّى أُخرِجَ قالبَ الكعْكِ! سيحظَى سنيف بالوعَاءِ ليلعَقَ مَا فيهِ. هُوَ دائمًا من نصِيبِهِ.»

«إذَا جَاءَ،» غَمْغَمَ بابا مومين وتنهَّد بعمقٍ.

في تلك اللحظَةِ دخَلَ فأرُ المسكِ، وقبَعَ في إحدى الزَّوايا.

«حسنًا، ماذا عَنِ المُذنَّبِ؟» سألَتْهُ ماما مومين.

«إنَّهُ يزدادُ اقترابًا،» ردَّ فأرُ المسْكِ. «هذا بِلا شكٍّ وقتٌ للبكاءِ والنُّواحِ. لكن طبعًا ذلك النَّوع من الأشياء لا يؤثِّرُ في فيلسوفٍ مثلِي.»

«آمل أن تهتَمَّ جيّدًا بشارِبكَ عندما يسقط،» قالت ماما مومين بلطفٍ. «مؤسفٌ أن يحترِقَ. ما رأيك في بندقة زنجَبيلٍ؟»

«شكرًا. ربَّما واحدة صغيرة،» أجاب فأر المسك. ثُمَّ بعد أن أكَلَ ثمانية منها قال: «يبدو أنَّ مومين ترول الصَّغير ينزلُ مِنَ التَّلَّةِ، ترافقُه مجموعةٌ ذاتُ

مظهرٍ ولا أغرب. لا أدري إن كان هذا يهمُّك بأيِّ حال.»

«مومين ترول؟» صرخت ماما مومين. «لماذا لم تقلْ ذلك من قبل؟» واندفعت خارجةً بسرعةٍ وبابا مومين في أعقابِها.

هناك كانوا، يقطعون الجسر جريًا، أوّلًا مومين ترول ثمَّ سنيف، يليه سنفكين وبعده السّنورك وأخته، وآخرهم الهيميولن الذي لم يبرأ بعد من مزاجِه السَّيِّئِ.

ارتمى الجميعُ في أحضانِ الجميعِ وصاحت ماما مومين: «موميني يا طفليَ الغالي،

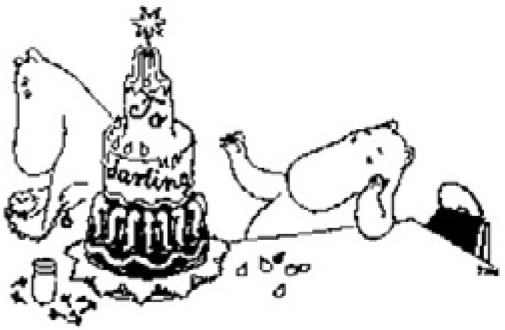

ظننتُ أنَّني لن أراك ثانيةً أبدًا!»

«كان يجب أن تشاهديني وأَنَا أحاربُ الشَّجرةَ السَّامَّة!» هتفَ مومين ترول. «طاخ! بتر ذراع! طيخ! بتر ذراع آخر، وفِي النِّهايةَ لمْ يبقَ هناكَ إلَّا القرمة!»

«عظيمٌ!» قالت ماما مومين. «ومن هي تلك البنْتُ الصَّغيرَةُ؟»

«هذه الآنسة سنورك،» أجاب مومين ترول وهو يجلبُ الفتاةَ إلى الأمام. «إنَّها التي أنقذْتُها من الشَّجرةِ السَّامة. وهذا سنفكين وهو أحدُ المتجوِّلين في الدُّنيا. وهنا الهيميولن؛ الخبيرُ في جمعِ الطَّوابع!»

«أوه!» هتف بابا مومين. «حقًّا؟» ثمَّ سرعان ما بزغت الفكرة في رأسه. «أوه، نعم،» قال، «أتذكَّرُ أنَّني كنت أجمعُ الطَّوابعَ في شبابي. هوايةٌ مثيرةٌ للاهتمام كثيرًا.»

«هذه ليست هوايتي! هي عملي،» ردَّ الهيميولن بفظَاظَةٍ. (لم يكن قد نام جيّدًا)

«في هذه الحال، ربَّما يمكنكَ أنْ تعطِينِي رأيَكَ في ألبومِ طوابع طيَّره الإعصارُ مساءَ أمسٍ إلى هنا،» قال بابا مومين.

«أقلْتَ ألبومَ طوابعَ؟» صاح الهيميولن. «طارَ إلى هُنا؟»

«إيه، صحيحٌ،» تدخَّلت ماما مومين. «صنعتُ عجينةَ الخَبْزِ ليلَةَ أمسٍ، وهذا الصَّباحُ وجدْتُها مُترعةً بقصاصاتِ أوراقٍ صغيرةٍ دبقةٍ.»

«أوراقٍ دبقةٍ!» زعقَ الهيميولن. «تلك بلا ريبٍ أكثرُ نماذجي ندرةً. أمَا زالت هناك؟ أيْنَ هي؟ عساكِ بحقٍّ جماعة الهيميولن لم تتخلَّصِي منها؟»

«كلُّها معلَّقةٌ لتجفَ،» أجابت ماما مومين وهي تشير إلى حبلِ غسيلٍ تحتَ أشجارِ الخوخِ.

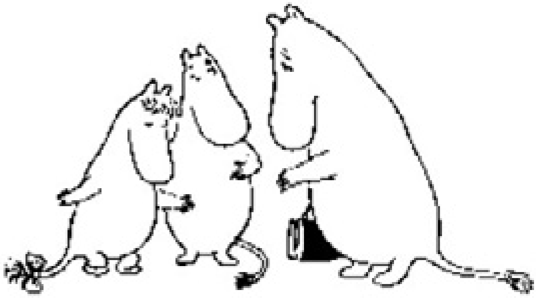

انطلقَ الهيميولن خارجًا.

«دبَّتْ فيه الحياةُ الآنَ،» علَّقَ سنيف ضاحكًا. «لكنَّهُ ما كان ليقطعَ خطوتَينِ في حال جاءَ المُذنَّبُ في طلَبِهِ.»

«نعم، المُذنَّبُ،» هتفَتْ ماما مومين بنبرَةٍ قلقَةٍ. «يقولُ فأرُ المسكِ إنَّهُ سيسقُطُ في حديقَةِ مطبَخي هذا المساءِ. وهذا مزعجٌ للغايةِ لأنَّني فرغْتُ توًّا من اقتلاعِ الأعشَابِ الضَّارَّةِ.»

«أقترحُ أن نعقدَ اجتماعًا بخصوصِ هذا الشَّأنِ في بيتِ المومين،» قال السِّنورك. «أعنِي إنْ لم يكن لديكَ مانعٌ طبعًا.»

«لا، لا، مؤكَّدٌ أنَا لا أمانِعُ،» قال بابا مومين. «تعالَوا، اعتبرُوا أنفسَكُم في بيتكُم!»

«توجدُ كميَّةٌ من بندقِ الزَّنجبيلِ الطَّازجِ،» أعلَنَتْ مَامَا مومين، بِشَيءٍ مِنَ الارتِبَاكِ، وهي تُخرجُ فناجِينَ القهوةِ الجديدَةِ المطبَّعَةِ بالورْدِ والزَّنْبقِ. «جيِّدٌ أنَّكم عُدتُم إلى البَيتِ فِي الوقْتِ المُنَاسِبُ يَا أَحبَابِي!»

«هَلْ وصلَتْكُم البرقيّةُ الّتي أرسلَهَا التُّرول المنزليِّ؟» انبرَى سنيف يسأَلُ.

«نعم،» ردَّ بابا مومين، «لكنَّ الحروفَ كانت رأسًا على عقبٍ، ومعظمُها مجرَّدُ علاماتِ تعجُّبٍ. لا ريبَ في أنَّ ذلك التُّرول كان أشدَّ توترًا من أن يرسِلَ أيَّ برقيَّةٍ مفهومَةٍ.»

في تلك اللحظة انحنَتْ ماما مومين على النَّافذةِ، وصاحَت «القهوَةَ!» فاحتشدُوا كلُّهم في الدَّاخل ما عدا الهيميولن. كان منهمكًا في فرد طوابِعهِ، وتصنيفِهَا بأكوامٍ مختلفَةٍ، واكتفَى بالهمْسِ باستياءٍ أنْ لَا وقتَ لَديهِ.

«جيِّدٌ،» قالَ السّنورك، «يمكنُ الآن أن نصِلَ إلى صميمِ الموضوع. لسوءِ الحظِّ فقدْتُ الكرَّاسَةَ التي دوَّنْتُ فيها ما ينبغي عملهُ بالضَّبطِ بخصوصِ النَّجاةِ من

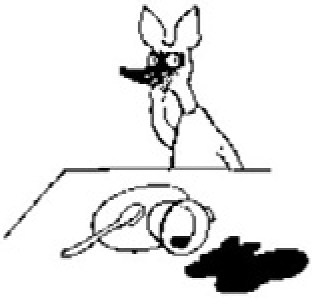

المُذنَّباتِ، لكنَّ البارزَ بوضوحٍ كالأنف الذي في وجهي، هو أنَّنا يجب أن نعثرَ على ملجأ لنختبئَ فيه.»

«أنت تضخِّم الموضوع كثيرًا،» تصدَّتْ له أخته. «الأمرُ في غاية البساطة. ما علينا إلَّا التَّسلُّل إلى كهفِ مومين ترول، ونأخذ معنا أثمنَ حاجيَّاتنا!»

«والكثيرَ من الطَّعام،» عاجل سنيف إلى القول. «وذاك بالمناسبةِ كهفي!»

«يا إلهي!» صاحَتْ ماما مومين. «لديكما كهفٌ خاصٌّ بكما!؟»

هذه العبارةُ أطلقَتْ لسانَيِّ سنيف ومومين ترول في وصفٍ مطوَّلٍ عنْ كيفَ وجدَا الكهْفَ، وأيُّ كهفٍ رائعٍ هو، وكيف أنَّه مكانٌ مثاليٌّ جدًّا للاختباء. ثرثرَا معًا في الوقتِ نفسِهِ، وكلٌّ منهمَا يحاولُ أن يطغَى بصوتِهِ على صوتِ رفيقِهِ، والنَّتيجةُ كانت أنْ دلقَ سنيف فنجانَ قهوتِهِ على مفرشِ الطَّاولَةِ.

«حقًّا!» صاحَتْ ماما مومين بصوتٍ غاضِبٍ. «واضحٌ أنَّكُمَا عشْتُمَا كالهمَجِ بعدما رحلتُمَا. سنيف، يُستحسَنُ بكَ أنْ تأكلَ علَى الحصيرة. ووعاء خلطَةِ الكعْكِ في الحَوضِ. يمكِنُكَ أنْ تأخذَهُ معكَ إِذَا شِئْتَ.»

غاصَ سنيف تحت الطَّاولة مرتبكًا، واستمرَّ الاجتماعُ.

«لطالما آمنْتُ بضرورةِ السَّماح لكلِّ شخصٍ أن ينجِزَ ما يخصُّه،» قَالَ السّنورك بنبرةٍ متعاليةٍ. «يجبُ علينا أنْ نحمِلَ أغراضَنا إلى الكهفِ بأسرَعِ مَا يُمكِنُ، فالسَّاعةُ الآن الثَّالثَةُ. لعلِّي أتولّى أنا وأختي مهمَّةَ حملِ أغطيةِ المفارشِ؟»

«هذا حسنٌ،» أجابَتْ ماما مومين. «أنا سآخذُ المربَّى. سنيف يا عزيزي هلَّا بدأْتَ بإفراغِ دروجِ المكتَبِ؛ لأنَّ كلَّ ما فيه مِنْ أشياءَ يجِبُ أن تُحزَمَ.»

وهكذا بدأ أعظَمُ استعجَالٍ وَحَمْلٍ وَحزمٍ يمكن أنْ يَراهُ المرءُ. كدَّسَ بابا مومين الأغراضَ في عَربَةِ اليَدِ، وَمامَا مومين تحرَّكَتْ بدأَبٍ هُنَا وَهناك بحثًا عَنْ خيوطٍ وأورَاقِ صُحفٍ. (كان ذلك كأنَّهم يخلون البِلادَ في الحربِ، وليس لديهم سوى مهلة بضْعِ ساعاتِ إنذَارٍ.)

مرارًا وتكرارًا دفعَ بابا مومين عربةَ اليَدِ عبْرَ الغابة إلى الشَّاطئ، وأفرَغَ حمولتها على الرَّمل. وقَامَ مومين ترول وسنفكين برفْعِ الأغراضِ إِلَى الكهفِ بوساطَةِ حبْلٍ.

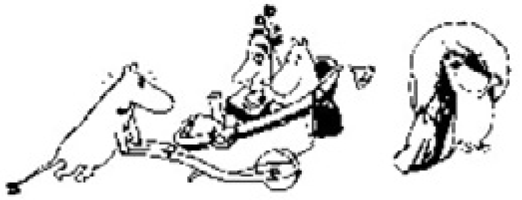

في هذه الأثناء كان الآخرون يجمعونَ كلَّ مَا يمكِنُ نقلُه من البيت، بِما في ذلك مقابضُ أبوابِ الخزَائنِ وحبالُ السَّتائرِ.

«لا أنوى تركَ مطلق شيء لذلِكَ المُذنَّبِ الهَرِم،» غمْغَمتْ ماما مومين وهي تدفَعُ حوض الاستحمَامِ خلال البَابِ. «سنورك يا عزيزي أسرعْ، واقتلعْ الفجلَ من حديقةِ المطبَخِ، وأنتَ يا سنيف، يمكنُكَ أنْ تحمِلَ قالَبَ الكعْكِ إلى الكهْفِ، لكن احرصْ عليهِ جيّدًا!»

جاء بابا مومين لاهثًا يجرُّ العربَةَ اليدويَّةَ. «هيَّا، أسرِعُوا!» قَالَ. «لن يلبثَ الظَّلامُ أنْ يحلَّ، وَمَا زَالَ علينا أَنْ نسدَّ فتحةَ سقفِ الكهفِ.»

«حاضر، حاضر،» قالَتْ ماما مومين. «نحن قادمونَ فورًا. أريدُ فقط الأصدافَ المحيطَةَ بحوضِ الرَّاوند، وأفضل الورود.»

«لا،» اعترضَ بابا مومين بحزمٍ. «سنتركُ هذه الأشياء. الآن اصعدي إلى حوض الاستحمام يا عزيزتي، وسأقودُ بكِ العربةَ إلى الكهفِ. أينَ الهيميولن؟»

«هو يعدُّ طوابعَه،» قالت الآنسة سنورك. «يبدو أنْ لا شيء آخر يثيرُ اهتمامَه.»

«هلو! يا هيميول!» صاح السِّنورك. «أسرعْ بالله عليكَ. سيسقطُ المُذنَّبُ خلال دقيقة، وحينها ستضيعُ طوابعُك حتمًا.»

«أوه، فلترعاني السَّماءُ!» هتفَ الهيميولن، وقفزَ مباشرةً إلى حوضِ الاستحمامِ، حيثُ جلسَ راسخًا مع ألبومِ طوابعِه، ورفضَ أنْ يتزحزحَ.

باشرَتِ المجموعَةُ رحلتَها الأخيرةَ إلى الكهف. كان الشَّاطئُ كئيبًا ومقفرًا، وأمامهم تلك الهوَّةُ العظيمةُ التي كانت سابقًا بحرًا، السَّماءُ القاتمةُ الحمراءُ فوقهم، وخلفهم الغابةُ تلهثُ من شدَّةِ الحرارة. أصبح المُذنَّبُ قريبًا جدًّا الآنَ. تأجَّجَ بوهجٍ أبيضَ، وبدا هائلًا وهو يندفعُ نحو وادي الemployee الموومين.

«أين فأرُ المسك؟» صاحت ماما مومين فجأةً بصوتٍ مذعورٍ.

«رفضَ أنْ يأتيَ،» أجاب بابا مومين. «قالَ إنَّ ذلك ليس ضروريًا، بل ومن المخجلِ بالنِّسبةِ إلى فيلسوفٍ أن يتخبَّط هكذا. اضطررْتُ إلى تركه، لكنَّني

أبقيتُ له الأرجوحَةَ.»

«أوه، طيِّب،» تنهَّدت ماما مومين. «فَهْمُ الفلاسفة صعبٌ. ابتعدُوا يا أطفال، سيقومُ بابا برفع حوضِ الاستحمام.»

في الكهف، وقف مومين ترول وسنيف وسنفكين يجذبونَ الحوض وهم يصيحونَ، بينما بابا مومين والسّنورك وأخته يدفعون ويصدرون الأوامِرَ من الأسفَلِ. ترنَّحَ الحوض صعودًا ونزولًا، انزلقَ وسُحبَ ثانيةً، إلى أنْ أصبحَ أخيرًا على الحافَّةِ خارجَ الكهفِ.

طوال هذا الوقت جلسَتْ ماما مومين على الرَّمل تنظِّفُ جبينَها، ثمَّ ندَّت عنها آهٌ عظيمةٌ وهتفَتْ: «يا لها من جلَبةٍ!»

طبعًا لم يشاركِ الهيميولن في رفعِ الحوضِ، بل بقِيَ جالسًا فيهِ. ثُمَّ زحفَ إلى الكهفِ، وانهمَكَ يرتِّبُ طوابعَه وهو يتمتِمُ: «دائمًا هناك بلبلةٌ وهرولَةٌ. ليتَني فقط أعرفُ ما أصابَهم.»

وبينما أصبحَتِ الدُّنيا أشدَّ وأشدَّ حرارةً، وأكثرَ ظلمةً زحفَتْ عقاربُ السَّاعة نحو السَّابعةِ. لم يستطيعوا تمرير الحوضِ عبر مدخلِ الكهفِ، وأرادَ السّنورك أن يعقدَ اجتماعًا بخصوص هذا، لكن نظرًا إلى ضيق الوقت، قرَّروا رفعه إلى السَّطح ليسدُوا فتحةَ السَّقف بهِ.

أعدَّت ماما مومين الأسِرَّة للجميع على أرضِ الكهفِ الرَّمليَّةِ النَّاعمَةِ، وأضاءَتْ فانوسًا، بينَمَا علَّق سنفكين ملاءَةً أمامَ المدخَلِ.

«أتعتقدُ أنَّ هذا كافٍ للحماية؟» استفسَرَ مومين ترول.

عندئذٍ، أخرج سنفكين قنينةً من جيبِ بنطلونِه ولوَّح بِهَا بانتصار. «أنسيتَ زيتَ الشَّمسِ مِنْ تَحْتِ الأرضِ الذي أهدانيهِ أحَدُ أرواحِ النَّار؟» قَالَ. «آخرُ قطرَةٍ فيه كافية لدَهنِ الملاءَةِ مِنَ الخَارجِ، وبعدئذٍ وَلا عشرين مُذنَّبًا يمكنُ أن يكونَ قادرًا على إحراقِهَا!»

«هذا لنْ يلطِّخَ الملاءَةَ، كَمَا آملُ؟» استفهمَتْ مَامَا مومين بِقَلقٍ.

في تلك اللحظة سَمِعُوا صوْتَ نخيرْ وحفٍّ خارجَ الكهْفِ، ثمَّ ظهرَ أنفٌ مِنْ تحتِ المِلَاءةِ، وَبعدَه بانَتْ عينَانِ سودَاوانِ، ثُمَّ ظهرَ فأرُ المسكِ بلحمِهِ وشحمِهِ.

«ياه! لقدْ جِئْتَ عَلَى الرَّغمِ من كلِّ شيءٍ يا عمِّي فأرَ المسكِ!» صَاحَ سنيف.

«نعم، وَجدْتُ صعوبَةً في التَّفكيرِ وَأنَا هُناك في تلكَ الحَرارَة،» أجَابَ فأرُ المسكِ وهوَ يتثَاقلُ نحوَ زاويةٍ بكبرياء عظيمٍ.

«الآن نحن مستعدّونَ،» أعلَنَ بابا مومين. «كمِ السَّاعةُ؟»

«السَّابعةُ وَخَمس وعشرون دقيقةً،» قال السّنورك.

«يعني لدينا وَقتٌ لنذوقَ قالَب الكعكِ،» قَالَتْ ماما مومين. «سنيف أينَ وضعْتَهُ؟»

«فِي مكانٍ مَا هناكَ،» أجابَ سنيف وَهوَ يشيرُ إِلَى الزَّاويةِ الَّتي احتلَّها فأرُ المسكِ.

«أينَ؟» عَادتْ مَاما مومين وَسألَتْ. «لَا أرى شيئًا. يا فأرَ المسكِ هَلْ رأيْتَ قالبَ الكعكِ فِي أيِّ مكانٍ؟»

«أَنا لا أزعِجُ نفسِي بِأشياءَ مثلَ قوالبِ الكعْكِ،» أجابَ فأرُ المسكِ وَهو يفتِلُ شاربَيهِ بوقَارٍ. «لَا أراهَا، لَا أذوقُهَا أَو أتحسَّسها بِأيِّ حَالٍ، أبدًا.»

«لا بأسَ، لَكن أينَ بحقِّ السَّماءِ اختَفَى ذلك القَالبُ؟» قَالَتْ ماما مومين بصوتٍ يائسٍ. «سنيف، أيعقلُ أنَّكَ أكلْتَهُ في طريقِكَ؟»

«كان كبيرًا جدًّا،» ردَّ سنيف ببراءَةٍ.

«مَا يعني أنَّك تناولْتَ بعضَهُ!» زعقَ مومين ترول. «هيَّا اعترِفْ!»

«النَّجمَةُ التي في قمَّتهِ فقط،» قَالَ سنيف، «وتلك كانت قاسيةً نوعًا ما.» ثُمَّ زحفَ تحتَ المفرشِ واختَبأَ.

«أطفالٌ بائسون،» دمدَمت ماما مومين وَهِي تجلسُ عَلَى كرسيٍّ، والشُّعورُ بالإعياءِ يداهِمُهَا فجأةً.

نظرَتِ الآنسةُ سنورك بحدَّةٍ إلى فأرِ المسكِ. «أتمَانِعُ التَّزحزُحَ مِن مكَانِكَ لحظَةً يا عمِّي فأرَ المسكِ؟»

«هنا أجلسُ وهنا أبقَى،» أصرَّ فأرُ المسكِ.

«هناك تجلسْ على كعكتِنَا،» واجهتْهُ الآنسةُ سنورك.

عندئذٍ نهضَ فأرُ المسكِ، وَيا للعجَبِ، لا أحد أبدًا رأَى فوضَى كَتِلكَ فِي قفَاه. وَبالنِّسبَةِ إِلى القَالبِ...

«ذلك لَمْ يكن ضَروريًا بأيِّ حَالٍ،» زمَّر سنيف.

«وكعكَتِي أيضًا،» زمجَرَ مومين ترول. «عَلَى شَرفِي!»

«أفترضُ أنَّنِي الآن سأبقى دبقًا لبقيَّةِ حياتي،» همْهَمَ فأرُ المسِكِ بمرارةٍ. «آملُ فقط أنْ أتحمَّلَ هذَا كرجُلٍ وَكفيلسوفٍ.»

«اسكُتوا كلُّكم،» صاحَتْ ماما مومين. «ما زالَتِ الكعكةُ نفسَها، إنَّما شكلُها مختلفٌ فقط لا غير. أحضرِوا صحونَكم وسنتشاركُ بِهَا كأنَّ شيئًا لمْ يكن.» ثمَّ قطعَتِ الكعكَةَ المهروسةَ إلى تسعِ قطَعٍ متساويةٍ ووزَّعَتْها عليهم، ثمَّ ملَأتْ حوضًا بماءٍ دافئٍ، وطلبَتْ من فأرِ المسكِ أن يجلسَ فيهِ.

«هذا قَلقَلَ شعوري بالسَّلام تمامًا،» تذمَّرَ. «يجبُ أنْ يلقى الفيلسوفُ الحمايةَ مِنْ أحداثِ الحَياةِ اليوميَّةِ القاسيةِ.»

«لا تهتمَّ،» واسته ماما مومين. «لن تلبِثَ أنْ تشعُرَ بالتَّحسُّنِ.»

«لكن أنا أهتمُّ،» اعترضَ فأرُ المسكِ بِأسلوبٍ مشاكسٍ. «لا سلام أبدًا...» واستمرَّ يُغمغِمُ بينه وبين نفسِهِ.

أخذَتِ الحرارة تزدَادُ وتزدادُ في الكهفِ. جلسوا في زوايا منفصلةٍ وانتظرُوا. وما بينَ حينٍ وآخرَ يتنهَّدُ أحدهم أو يمرِّرُ ملاحظَةً بديهيَّةً. ما عدا ذلك سادَ السُّكونُ.

فجأةً هبَّ مومين ترول واقفًا.

«نسينا النَّسناسة الحريريَّة!» صَاحَ.

«أوه، صحيحٌ،» قالَتْ ماما مومين. «يا لَهُ من شيءٍ رهيبٍ! أمس بالتَّحديد رأيْتُها تطاردُ السَّراطين.»

«يجبُ أن ننقذَهَا،» قالَ مومين ترول بإصرارٍ. «أيعرفُ أحدٌ أينَ تعيشُ؟»

«إنَّها لا تعيشُ في أيِّ مكانٍ،» قالَ بابا مومين. «أخشى أنَّ علينا تركَهَا لمصيرِهَا. لا وقتَ لدينا للبحثِ عنهَا.»

«أوه، رجاءً لا تذهبْ يا عزيزي مومين ترول!» استعطفَتْهُ الآنسةُ سنورك.

«يجبُ أنْ أفعلَ. سأعودُ. لا تقلَقِي!» أجابَ.

«خُذْ ساعتي كي تراقبَ الوقتَ،» قال السّنورك. «وأسرِعْ بقدرِ ما يمكنك. إنَّها الثَّامنة والرُّبع الآن.»

«أيْ لديَّ سبعٌ وعشرون دقيقةً،» قالَ مومين ترول ثمَّ عانقَ أمَّهُ القلقةَ، ابتلعَ آخرَ لقمةٍ مِنَ الكعكة وغاصَ تحت الملاءةِ.

كان خروجُه من الكهف مثلَ دخولِ فرنٍ هائلٍ بأعلى درجةِ سخونةٍ. وقفَتِ الأشجارُ هزيلةً وهامِدةً، وتأجَّجَ المُذنَّبُ بعنفٍ بحيثُ يستحيلُ النَّظرُ إليه. قطعَ مومين ترول الرَّمل جريًا إلى الغابةِ، ونادى بأعلى صوتِه: «آهوي، يا هوه! يا نسناسَة حريريَّة! أين أنتِ! يا نسناسَة حريريَّة!»

في الغمامِ الأحمرِ تحت الأشجارِ لم يتحرَّكْ نفَسٌ واحدٌ بالحياة: اختبأَتِ المخلوقاتُ الصَّغيرةُ كلُّها تحت الأرض وانكمشَتْ هناك، صامتةً ومذعورَةً. مومين ترول وحدَهُ جرى في الغابة. توقَّفَ ونادَى، ثمَّ استمعَ وعاودَ الجَريَ.

في النِّهاية وقف بلا حراكٍ، ونظرَ إلى السَّاعةِ. لم يتبقَّ سوى اثنتي عشرة دقيقةً، وعليه أن يرجعَ إلى الكهفِ.

صاحَ مناديًا للمرَّةِ الأخيرةِ. في هذه المرَّة ولفرطِ سعادته ردَّ عليه صوتٌ ضعيفٌ. وضعَ كفَّيه حول فمه ونادى مرَّةً أخرى، وأتاه الجواب من مكان أقرب. بعد لحظةٍ تأرجحَتِ النَّسناسة الحريريَّة ونزلَتْ من شجرةٍ أمامَهُ. «حسنًا، حسنًا،» ثرثرَتْ. «رائعٌ أن أراكَ. كنت توًّا أتساءلُ...»

«لا وقتَ للثرثرةِ الآن،» قاطعها مومين ترول. «اتبعيني إلى الكهف بأسرعِ ما يمكنك، وإلَّا سيحدث شيءٌ فظيعٌ لنا.»

انطلقا بأقصى سرعةٍ، والنَّسناسة الحريريَّة تضحكُ وتزعَقُ وتطرَحُ الأسئلةَ

من غير أدنى فكرةٍ عمَّا كان يجري: «أهو شيء مثيرٌ للاهتمام؟» هذرَت وهي ترمِي نفسَها من غصنٍ إلى غصنٍ بغبطةٍ عظيمةٍ. بدا لها أنَّ ذلك مسلٍّ، وأنَّه ربَّما شيءٌ ما يشبه السِّباق.

لم يحدث قطُّ أنْ جرَى مومين ترول بتلكَ السُّرعة في حياته كلِّها. وما بينَ لحظةٍ وأخرى نظرَ إلى السَّاعة التي بدت أنَّها هي أيضًا تسرع أكثر من المعتاد.

لم يتبقَّ هناك سوى أربع دقائق!

وصلا إلى الشَّاطئِ... ثلاث دقائق! أوه! يا لصعوبةِ الجري على الرَّمل. قبضَ مومين ترول على يد النَّسناسة الحريريَّة ومعًا اندفعا بتهوُّرٍ جنونيٍّ.

كانت ماما مومين تنتظرُ خارج الكهف، وحالما رأتهما بدأَتْ تلوِّح بذراعيها وتصيحُ: «بسرعةٍ يا أطفال! اركضُوا! اركضُوا!»

جاهدا بعزمٍ جبَّار على الصَّخرة، وتلقَّفتهما ماما مومين، ودفعتهما عبر فتحةِ الكهف أمامَها.

«أوه، الحمد لله!» زفرَتِ الآنسة سنورك، وبدأَتْ ببطءٍ تستعيد لونها المعهود؛ لأنَّها أصبحَتْ ورديَّةَ اللون من شدَّةِ القلَقِ في الدَّقائقِ العشرين الأخيرة. «عُدْتَ في الوقْتِ المناسبِ يا موميني!»

ثمَّ سرعانَ ما سمعوا صوتًا مخيفًا في الخارج. دويٌّ صاعِقٌ عظيمٌ.

كلُّهم ماعدا الهيميولن الذي بقي مشغولًا بطوابعه، وفأرُ المسك العالِقُ في حوض الماءِ السَّاخن، تكوَّمُوا منبطحين أرضًا. انطفأَ الفانوسِ، ووجدوا أنفسَهم في ظلامٍ دامسٍ.

كان المُذنَّبُ يغوص بعنادٍ متَّجهًا نحو الأرض. حدثَ ذلك في السَّاعةِ الثَّامنةِ واثنتين وأربعين دقيقةً بالضَّبط. هبَّ الهواء كما لو أنَّ مليونَ صاروخٍ أُطلِق دفعةً

واحدةً، وزُلزِلَتِ الأرضُ. خرَّ الهيميولن على وجهه بين طوابِعه، زَعقَ سنيف بأعلى صوته، وَسحبَ سنفكين قبَّعتَه فوق أنفهِ ليحتمِيَ بها. هدر المُذنَّب بذيلِهِ المشتعلِ عبر الوادي مباشرةً، خلال الغابَةِ والجبَالِ، ثمَّ اختفَى ثانيةً عندَ حافَّة الدُّنيا.

لو أنَّ المُذنَّبَ اقتربَ من الأرضِ أكثر قليلاً لا مجال للشكِّ في أنَّ أيًّا منَّا لن يكونَ هُنَا الآن. بيد أنَّه اكتفَى بكنسِ الأرضِ بذيلِهِ ثمَّ انجرَفَ نحو نظامٍ شمسيٍّ آخرَ بعيدٍ، ولم يلمحْهُ أحدٌ منذ ذلك الحين.

لكنَّ الذين في الكهف لم يعرفوا شيئًا عن هذا. ظنُّوا أنَّ كلَّ شيءٍ قد احترقَ أو تحطَّمَ إلى ذرَّاتٍ عندما سقط المُذنَّبُ وأنَّ كهفَهم كان الشَّيءَ الوحيدَ الذي

بقي في العالم. استمعوا وأمعنُوا في الاستماع، ولم يسمعوا شيئًا سوى السُّكون.

«ماما،» غمغم مومين ترول، «هل انتهَى الآن؟»

«نعم، انتهَى يا صغيري مومين،» أجابت أمُّه. «كلٌّ شيء على ما يرام الآن، وعليك أنْ تنامَ. بل عليكم كلُّكم أن تخلِدوا للنوم يا أحبابِي. لا تبكِ يا سنيف، لقد زالَ الخطرُ.»

كانت الآنسة سنورك ترتعدُ. «ألمْ يكن ذلك مروِّعًا؟» قالَتْ.

«لا تفكِّري في الأمرِ أكثر،» قالت ماما مومين. «تعالَي احضنيني يا نسناسة حريريَّة لتبقَي دافئةً. وسأنشدُ لكم تهويدةً لتناموا.» وهذا ما غنَّتْه:

تعانقُوا والتمِسُوا الدِّفء،

وأغمضُوا عيونكم جيِّدًا،

نامُوا طوالَ الليل ولا تحلمُوا.

لقد رحلَ المُذنَّب،

وأمُّكم هنا على مقربةٍ،

لتمنعَ عنكم الأذى

إلى أن يطلع الصَّباح.

وما لبثُوا أن استغرقوا في النَّوم، واحدًا تلوَ الآخر، إلى أن غدَا الكهفُ في نهاية المطاف مسالمًا وآمنًا.

12

وهو عن خاتمةِ الحكَايةِ

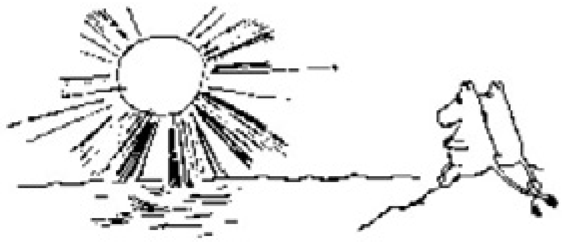

كان مومين ترول أوَّلَ من استيقظ في الصَّباح التَّالي. لوقتٍ طويلٍ لم يستطعْ أن يتذكَّر أين هو، وعندما عادَ إليه كلُّ شيءٍ نهضَ في الحال، مشى على رؤوس أصابعه بحرصٍ إلى فتحةِ الكهف، رفعَ الملاءةَ بحذرٍ شديدٍ ونظرَ.

يا للمشهدِ الذي أبصرَتْهُ عيناه! ما عادَتِ السَّماء حمراء، بل اصطبَغتْ بزرقَةٍ جميلَةٍ مجدَّدًا، وشمسُ الصَّباح أشرقَتْ في مكانِهَا المعهودِ وبدت كما لو أنَّها لُمِّعت مؤخَّرًا. جلسَ مومين ترول وواجهَ الشَّمس بعينين مغمضتين، وتنهَّد بسعادةٍ جمَّة.

بعد فترةٍ جاءَتِ الآنسة سنورك زاحفَةً خارجَ الكهف، وجلسَتْ إلى جانبِهِ.

«جيِّدٌ، في جميع الأحوال ما زالتِ السَّماءُ والشَّمسُ والصُّخورُ هنا،» قالت بجديَّةٍ.

«وانظري! ها هو البحرُ يعودُ،» همسَ مومين ترول. وهناك أمامهما ظهر البحر ساطعًا وبرَّاقًا مثل حريرٍ أزرقَ أملسَ، وأمواجُهُ تتدحرج بلا كلَل تجاههما. البحر القديم نفسه الذي أحبَّاه دائمًا.

خرجَتْ مخلوقاتُ البحرِ الصَّغيرة من الطِّين حيثُ اختبأَتْ وانطلقَتْ بسعادَةٍ نحو سطحِه؛ أعشابُ البحر ونباتات الماء بدأت برويَّةٍ تنمو تُجاه الشَّمس، وفي عرض البحر ظهر سربٌ من النَّوارسِ، سرعان ما حلَّقَ فوق الشَّاطئ.

بدأ الذين في الكهف يستيقظون واحدًا تلو الآخر وهم يطرفون عيونَهم دهشَةً. بدا الليل بالنِّسبةِ إليهم مثل حلمٍ أسودَ وأحمرَ فظيع، الوحيد الذي لم تدهشه أشعة الشَّمس والبحر كان الهيميولن. حملَ طوابعه ونزل إلى الرَّملِ وهو يقول: «سأضعُ العلامات المائيَّةِ بالتَّرتيب على طوابعي للمرَّةِ السَّابعة، ومَن يزعجني سيصيبه ما لا تُحمدُ عاقبته، سواء هو من جماعة المومين أو السّنورك أو السّنفكيين.»

شخرَ فأرُ المسكِ، نظَّف شاربيه، وانطلق ليرى إن كانت أرجوحته ما زالت هناك.

«أصبحَ لديَّ الآن فصلٌ جديد لمذكَّراتي،» قال بابا مومين. «يا إلهي! ذلك الكتاب سيغدو مثيرًا عندما ينتهي.»

«نعم، بالتَّأكيد يا عزيزي،» لاطفَتْهُ ماما مومين. «لكنَّ أحداثًا كثيرةً جديدةً قد تواجهنا، وأخشى أنَّ كتابَكَ لن ينتهي أبدًا. أوه، يا لها من فرحةٍ أن نرى الشَّمسَ ثانيةً!»

رقصَ سنيف عاقدًا ذيلَهُ على شكل قوس، ورفعَ خنجره تُجاه الشَّمس بحيثُ ومضَتْ أحجارُ الأوبال. ثمَّ مضَى هو والنَّسناسة الحريريَّة ليريا إذا بقيت هناك أيُّ سراطينَ بعد الكارثةِ.

في هذه الأثناء أخرج سنفكين الهارمونيكا وقامَ بمحاولةٍ جديدةٍ. واكتشفَ أنَّ نغماتِها كلِّها قد عادَتْ، بما فيها النَّغماتُ الواطئة، ما يعني أنَّ في وسعه أن يعزفَ بقدرِ ما يشتهي قلبه.

عاد مومين ترول إلى الكهف، وأخرجَ لآلئه، ووضعَها في حضنِ الآنسة سنورك.

«هذه لكِ،» قال، «كي تزيِّني نفسكِ كما يحلو لكِ، وتكوني أجمل آنسة سنورك في الدُّنيا.»

لكنَّه أعطى أمَّه أكبر لؤلؤة لديه لتزيِّنَ بها أنفها.

«أوه يا مومين ترول! كم هي جميلةٌ!» قالت. «أمَّا الآن فأريدُ أن أعرفَ ما قد حدث. أتظنُّ أنَّ الغابةَ ما زالت هناك، والبيتَ، وحديقةَ المطبخِ؟»

«أعتقدُ أنَّ كلَّ شيءٍ ما زال هناك،» أجاب مومين ترول. «رافقيني وانظري بنفسك.»